العارف الكامل

آية الله العظمى
الميرزا محمد علي الشّاه آبادي
(قدس سره)



أستاذ
الإمام الخميني
في العرفان

تحقيق وتأليف:
مؤسّسة العلوم والمعارف الإسلاميّة

ترجمة: كمال السّيّد ، أحمد العبيدي

الغدير



مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

العارف الكامل

آية اللّه العظمى المرحوم
الميرزا محمد علي الشاه آبادي قدّس سرّه

استاذ الامام الخميني في العرفان

تحقيق وتأليف

مؤسسة العلوم و المعارف الإسلامية

ترجمة

كمال السيد ــ احمد العبيدي

الغدير

بيروت ـ لبنان

الغدير للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان ـ بيروت ـ حارة حريك ـ بناية البنك اللبناني السويسري

هاتف: ٠١/٥٥٨٢١٥ ـ ٠٣/٦٤٤٦٦٢

تلفاكس: ٠١/٢٧٣٦٠٤

ص.ب: ٥٠/٢٤ ـ بيروت ـ لبنان

الرمز البريدي: ١٠١٧ ـ ٢٠١٠ برج البراجنة ـ بعبدا

E-mail:

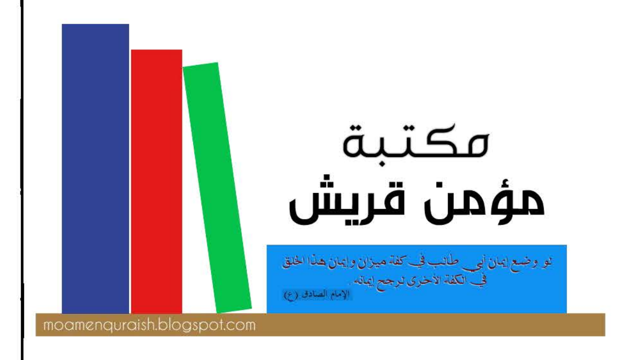
feqh@islamicfeqh.org

magazine@alminhaj.org

Web pag:

www.islamicfeqh.org

www.alminhaj.org



■الحقوق جميعها محفوظة■

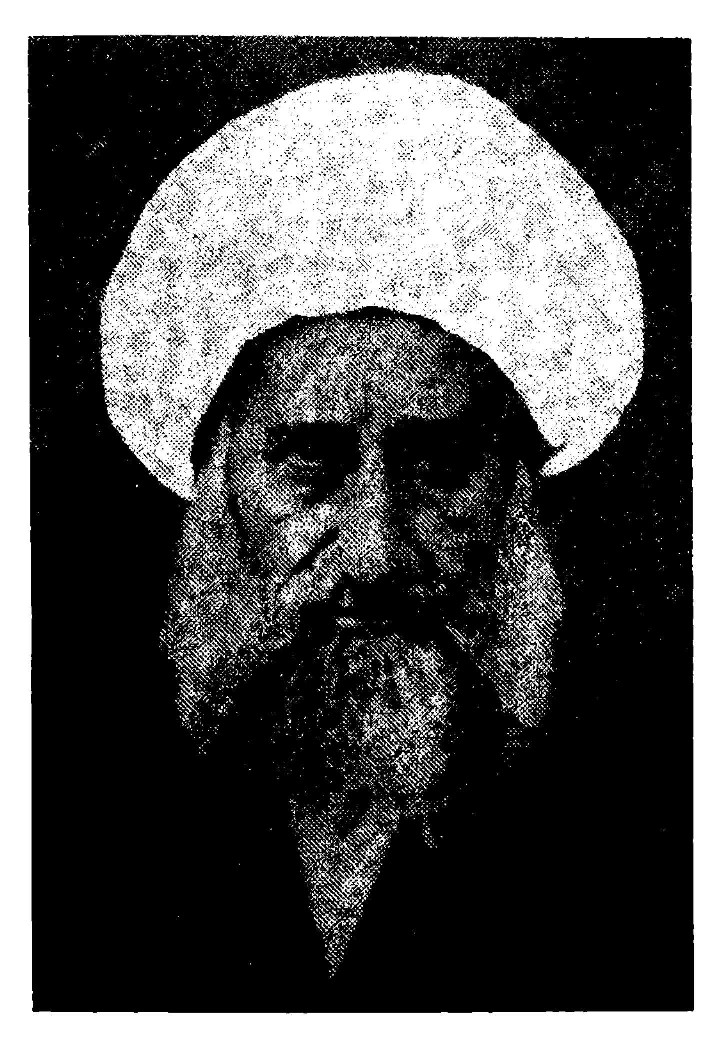
لمركز الغدير للدراسات الإسلامية

ولا يحق لأي شخص، أو مؤسسة، أو جهة

إعادة طبع الكتاب أو ترجمته إلا بترخيص من المركز

الطبعـة الأولى

١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م



المرحوم آية الله العظمى الميرزا محمد علي الشاه آبادي رحمه الله

ولد : ١٢٩٢ هـ (١٨٧٤م)

توفي: ٣ / صفر / ١٣٦٩ هـ (٢٤ / نوفمبر / ١٩٤٩م)



كلمـــة المـــركـــــز

للعرفاء مكانة شامخة في حياة المسلمين، ودور كبير في مدّ هذه الحياة بروحيّة عالية وزخم معنوي كبير، فلطالما كان العرفاء وأهل المعنى رمزاً للسكينة والمحبّة، ولطالما أمدّوا الحياة الإسلامية بحرارة القلب وصفاء السريرة.

وللعرفاء الشيعة بالخصوص مكانتهم الممتازة، التي تركت أثراً في حياة المسلم الشيعي، وصبغت حياته بلون خاص، لكن الحقيقة أنّ هناك تقصيراً في معرفة العرفاء والاطلاع على حياتهم وأدوارهم، وفهم نمط عيشهم وسلوكهم، خصوصاً في بعض الأوساط الشيعية، إذا ما حاولنا قياس ذلك على غير العرفاء من الفقهاء والمتكلّمين و...

في هذا الكتاب، جولة شيّقة مع عَلَم من أعلام العرفان، ورمز من رموزه، ومشعل من مشاعله المضيئة، ألا وهو العالم العارف، آية الله الميرزا محمّد علي شاه آبادي، وهو أستاذ الإمام الخميني قدس سره في العرفان.

وتأتي أهمّية معرفة هذه الشخصيّة من عدّة جوانب، فالشاه آبادي أستاذ الإمام الخميني، وكان له تأثير روحي كبير عليه، وقد ذكره الإمام الخميني، في كتبه مرّات عديدة، بكل احترام وتبجيل. وهذا معناه أن فهم شخصيّة الإمام الخميني وتجربته أمر مشروط بفهم شخصيّة

أساتذته سيّما العرفاء منهم، ومن أبرزهم الشاه آبادي ﷺ.

كما أن الشاه آبادي عارف مغمور في العالم العربي؛ الأمر الذي يضاعف من أهمّية تقديمه للقارئ العربي، ليحصل على تنوّع في الرؤيا، وتكتمل عنده الصورة أكثر فأكثر.

إنّ قراءة قصص العرفاء وتجاربهم لتبعث في الروح إحساساً غريباً يفقد الإنسان اختياره، ويشدّه نحو أفقٍ رحب يتجاوز ضجيج المدن وصخبها، وتعقيدات الحياة ومشكلاتها و...، أفقٍ ليس له من حدّ، يستعيد الإنسان فيه ذاته، فيستيقظ من سباته العميق، ويشعر بالله يغمر كيانه.. إن قراءة سِيَر هؤلاء العظماء تبعث في الرّوح نشاطاً خاصاً، وتشكّل من زاوية ثانية ـ غير الزاوية المعرفية التي أشرنا إليها آنفاً ـ دافعاً كبيراً نحو الله والعودة إليه والإنابة إلى ساحة قدسه وحضرة ربوبيّته.

إنّ مركز الغدير للدراسات الإسلامية؛ إذ يقدّم هذا الأنموذج بين يدي القرّاء الأعزاء، يأمل في أن يكون محاولة لإعادة ضخّ الحياة الروحية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وهي حياة بدأت المدنيّة المعاصرة تُفْقدِنا إيّاها وسط صخب الحياة المادّية وضجيجها.

مركز الغدير للدراسات الاسلامية

الفَصلُ الأَوّلُ

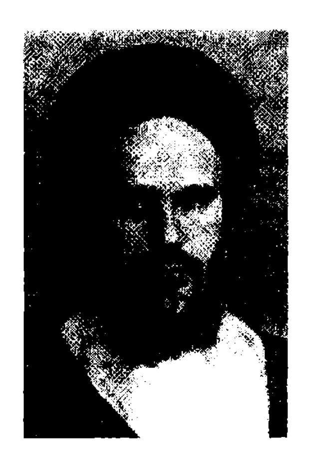
قالوا في العارف
الشيخ محمد علي الشاه آبادي

" استطيع القول انه لم يعرفه أحدٌ كما عرفته "

الامام الخميني

الإمام الخميني قدس سره:

◈ أنشد العرفان



يروي الحاج السيد نصر الله الشاه آبادي عن الامام الخميني الراحل انه قال: «بعد أن تعرفت على المرحوم الشاه آبادي (ميرزا محمد علي) عن طريق أحد أقاربه[1]، رافقته يوماً بعد خروجه من المدرسة الفيضية، وطلبت منه بإصرار أن يعطيني درساً..

وقد امتنع الشاه آبادي في البداية، ثم وافق محتملاً أنني أريد الفلسفة، لكنني قلت له: لقد درست الفلسفة[2].. إنني

---

١. المرحوم الحاج محمد صادق الشاه آبادي، المتوفى سنة ١٩٨٨م، ابن أخت شاه آبادي، وله ذكريات عديدة وردت في هذا الكتاب.

٢. يقول المرحوم أحمد نجل الإمام الراحل: «بدأ الإمام بدراسة الأسفار الأربعة بعد إتمامه لدرس المنظومة مباشرة، لكنه وبعد بضعة أيام من الدرس اكتشف ان بإمكانه دراسة الأسفار من دون أستاذ، فراح يتدارسها (يتباحث) مع بعض زملائه».

أريد «العرفان»، فامتنع أيضاً، فألححت عليه حتى وافق... وهكذا حضرت عنده قرابة السبع سنين درست خلالها «الفصوص»[١] و«مفتاح الغيب».

حاجة طلبها مني إنسان

ويروي السيد محمد الشاه آبادي عن الامام الخميني تَتَنُّ قوله: «علمنا ذات يوم أن استاذنا يقوم بعد الانتهاء من دروسه بتدريس أحد الطلبة كتاب «حاشية الملا عبد الله»[٢] وكان قد شرع بالدرس منذ شهرين تقريباً، فشعرنا بالدهشة كيف وافق الاستاذ على أن يدرّس طالباً واحداً بعد تسعة دروس عميقة ومتتالية درساً في المقدمات!! لذا قررنا إقناع الطالب بالانصراف إلى أستاذ آخر، لكنه كان يرفض ذلك بإصرار، حتى إننا عرضنا عليه أن يختار من يشاء من أكابر أساتذة الحوزة العلمية بقم غير الأستاذ الشاه آبادي والحاج الشيخ[٣] وعلينا نحن إقناعه، ولكن ذلك الطالب كان يمتنع

---

١. يقـول السـيد علي القاضي في الشيخ الاكبر ابن عربي مؤلف كتاب «فصوص الحكـم»: «ليس في البرايا بعد النبي والأئمة من يضاهي محي الدين بن عربي في معارفه العرفانية وحقائقه النفسية».

٢. من دروس المقدمات في علم المنطق يدرسه طلاب الحوزة في السنة الثانية عادة.

٣. يقصـد بـه المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري، المرجع الديني ومؤسس الحوزة العلمية في مدينة قم.

ويقول: إنني لن أدرس عند أحد على وجه الأرض غير الشيخ شاه آبادي.

عندها قررنا التحدث مع الشيخ الشاه آبادي لإقناعه بالانصراف عن هذا الدرس. فلما كان اليوم التالي، التقيناه بعد الدرس وبدأنا حديثنا معه بالتدريج، فحدثناه بضرورة الاستراحة له عقب الانتهاء من تسعة دروس متواصلة، مستندين في كلامنا معه إلى قاعدة «الأهم فالأهم». قلنا ذلك والتزمنا الصمت ظانين انه قد اقتنع بكلامنا، لكنه فاجأنا بالقول: «حاجة طلبها مني إنسانٌ، وسأقضيها له بما تسمح لي طاقتي»[1].

لقد أدركت انه أهل لهذا الأمر

يروي المرحوم السيد أحمد الخميني: ان الإمام الراحل التقى، ذات يوم، المرحوم السيد إلهي، وهو رجل عارف من أهل قزوين، وكان اللقاء في مدينة قم، وعندما جرى الحديث عن المرحوم الشاه آبادي قال الإمام: التقيت به في مدرسة الفيضية، فسألته عن مسألة عرفانية، ولما أجاب عنها أدركت انه أهل لهذا الأمر، لذا قلت له: أريدك أن تدرّسني، فرفض، ولما أصررت عليه وافق على إعطائي درساً في الفلسفة، لأنه ظن اني طالب فلسفة، فقلت له: أنا لم آتك

١. استاذ زاده، الحوزة العلمية للشهيد شاه آبادي، ص٦٢ و٦٣.

لدراسة الفلسفة لأني قد درستها، جئتك أريد العرفان، أريد دراسة شرح الفصوص[١]، وقد رفض في بادئ الأمر، لكني أصررت عليه حتى وافق[٢].

◈ كان معطاءً

يروي المرحوم السيد أحمد الخميني: سألت والدي رحمه الله عن عدد تلامذة الشاه آبادي في العرفان، فقال: «قد يصل عددنا الثلاثة أحياناً، لكني كنت أدرس العرفان عنده لوحدي في أغلب الأحيان».

سألته: وهل درست شيئاً غير العرفان على يديه؟ قال: «كنت أدرس عنده في أيام العطلة، وفي يومي الخميس والجمعة، كتاب

---

١. كتاب «فصوص الحكم» لمحي الدين بن عربي، المتوفى عام ٦٣٨هـ. جدير بالذكر ان الإمام قصد بشرح الفصوص شرح القيصري. ويقول الإمام في شأن هذا الدرس: «ان الشرح الذي كان يدرّسني إياه الشاه آبادي يختلف عن شرح القيصري للفصوص، إذ كان أكثر ما يورده في الدرس من عنده هو»، ويقول في مناسبة أخرى: «كان الشيخ يوضح المسائل ببيان أفضل من شارح الفصوص نفسه». أما القيصري فهو عارف كبير. قال فيه الاشتياني في شرح مقدمة القيصري (ص١٢) ما نصه: «القيصري رجل دقيق النظر يمتاز بالفهم وحِدّة الفكر واستقامة الذوق وجودته».

٢. سيماى فرزانگان (سيماء العباقرة)، رضا مختاري، نشر دفتر تبليغات اسلامي. قم ط٣، ١٩٩٠م، ص٨٧.

مفتاح الغيب[1]، وقد كتبت الحاشية على هذا الكتاب في المدَّة نفسها التي كنت أدرس فيها شرح الفصوص ومفتاح الغيب».

وسألته أيضاً: وهل درست كتباً أخرى على يديه؟ قال: «كتاب منازل السائرين[2]».

قلت:كم طالباً كنتم؟ قال: «كنت وحدي، وربما التحق بي واحد أو اثنان، ولكن سرعان ما ينصرفون».

سألته: وكيف كان المرحوم الشاه آبادي؟ قال: «سألته ذات مرّة: إن ما تقوله ليس من الكتاب، فمن أين لك هذا؟ فقال لي: يقال! فعلمت حينها أن القول قوله. ان له عليّ حقاً كبيراً، فلقد كان في غاية العمق والاستيعاب، سواء في الفلسفة أم في العرفان».

سألت (والقول للسيد أحمد): كم سنة درست العرفان على

---

١. «مفتاح الغيب»، وهو كتاب لصدر الدين القونوي؛ شرحه حمزة الفناري الرومي في كتابه «مصباح الأنس». وصدر الدين القونوي من أبرز أساتذة العرفان، ألف كتباً عديدة في نشر أفكار أستاذه محي الدين بن عربي وعقائده، وكانت له مناظرات مع نصير الدين الطوسي، يعدّه الاستاذ مطهري في طليعة من شرحوا أفكار «ابن عربي» قائلاً فيه: «أحسن من شرح فكر محي الدين، وربما لولاه لما فهم محي الدين أحد» انظر: الإسلام وإيران، مرتضى مطهري، ترجمة احمد العبيدي، طهران، انشارات الهدى، عام ٢٠٠١، ص٥٥٣.

٢. من كتب المرحوم عبد الله الهروي، وهو كتاب في الأخلاق مرتب في مئة منزل.

يديه؟ قال الإمام: «لست أذكر بالضبط، ربما كانت المدة خمس أو ست سنين». وأضاف: «إن شرحه للفصوص يختلف عن شرح الفصوص القيصرية، لقد كان لديه الكثير من عنده».

سألته عن أول كتاب ألّفه؟ فقال: «أظن أن أول كتاب ألفت أو قل أول شيء كتبت كان حاشية على حديث رأس الجالوت[1]، ثم كتبت بعدها شرحاً مستقلاً لهذا الحديث، وكان ذلك بعدما درست على يد الشيخ الشاه آبادي[2]، عندما حلّ الشيخ الشاه آبادي في قم

---

١. نـص الحديث كما ورد في أصول الكافي، ج١، ص٨٩: «عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ خَالِدٍ عن أبيه رَفَعَهُ قَالَ: اجْتَمَعَتِ الْيَهُودُ إلى رَأْسِ الْجَالُوتِ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ عَالِمٌ يَعْنُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَانْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ نَسْأَلُهُ، فَأَتَوْهُ، فَقِيلَ لَهُمْ: هُوَ فِي الْقَصْرِ، فَانْتَظَرُوهُ حَتَّى خَرَجَ، فَقَالَ لَهُ رَأْسُ الْجَالُوتِ: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ، فَقَالَ: سَلْ يَا يَهُودِيُّ عَمَّا بَدَا لَكَ، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ عَنْ رَبِّكَ مَتَى كَانَ، فَقَالَ: كَانَ بلا كَيْنُونِيَّةٍ، كَانَ بِلا كَيْفٍ، كَانَ لَمْ يَزَلْ، بِلا كَمٍّ وبِلا كَيْفٍ، كَانَ لَيْسَ لَهُ قَبْلٌ، هُوَ قَبْلَ الْقَبْلِ بلا قَبْلٍ، ولا غَايَةٍ ولا مُنْتَهًى، انْقَطَعَتْ عَنْهُ الْغَايَةُ، وهُوَ غَايَةُ كُلِّ غَايَةٍ. فَقَالَ رَأْسُ الْجَالُوتِ: امْضُوا بِنَا فَهُوَ أَعْلَمُ مِمَّا يُقَالُ فِيهِ».

٢. يقـول المرحوم السيد احمد الخميني: «اعتقد أن أول كتاب للإمام كان «مصباح الهدايـة»، وثاني تأليف له كان «شرح دعاء السحر» والثالث: كتاب الأربعون حديـثاً، أما كتاب «رأس الجالوت» فقد كان بعد تتلمذه على يد المرحوم الشاه آبادي. انظر: پا به پای آفتاب، ج١، ص٦٠.

كنت لا أزال أعزب[١]، وقد واصلت درسي معه بعد زواجي أيضاً».

هذا ما قاله الإمام نقلته حرفياً كما هو مدَّون عندي [٢].

اغتنام الوقت

ويروي السيد مجتبى الرُودباري عن الإمام الخميني الراحل قوله: سمعت من أستاذي المرحوم الشاه آبادي يقول، نقلا عن المرحوم والده[٣] الذي كان من تلامذة صاحب الجواهر: «كان لصاحب الجواهر ولد معروف بالفضل في الحوزة العلمية في النجف توفي في حياة والده. فلما كان يوم تشييعه راح الطلاب وأهالي النجف يتوافدون للمشاركة في موكب التشييع في أجواء من الحزن والحداد عمت المدينة، وفيما أخذ الناس يجتمعون اغتنم صاحب الجواهر، وهو صاحب المصاب، الوقت وجلس يكتب حتى أنهى نصف صفحة من كتاب الجواهر» [٤].

لقد حرمت من فيضه

---

١. في عـــام ١٣٤٧هــــ، وصل المرحوم محمد علي الشاه آبادي إلى قم. أما زواج الإمام الخميني فكان في عام ١٣٤٨هـــ، وكان سن الإمام حينها بين ٢٨ و٢٩ سنة.

٢. پا به پای آفتاب (في ركاب الشمس)، أمير رضا ستوده، ج١، ص٥٨ و٥٩.

٣. الميرزا محمد جواد الاصفهاني، المتوفى سنة ١٣١٢ هــ.

٤. صحيفة دل (صحيفة القلب)، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ص٨٠. وسترد هذه القصة في موضع آخر من هذا الكتاب مع تغيير طفيف.

يقول الإمام الخميني الراحل في تعليقته على كتاب «مصباح الأنس»[١]: «قد شرعنا في قراءة هذا الكتاب الشريف لدى الشيخ العارف الكامل، أستاذنا في المعارف الإلهية، حضرة الميرزا محمد علي الشاه آبادي الاصفهاني، دام ظله، في شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٠»[٢].

وجاء في الصفحة ١٣٣ ما يأتي: «إلى هـــهنا قرأت الكتاب عند شيخنا العارف الكامل الشاه آبادي، روحي فداه، وقد اتفق انتقاله إلى طهران فصرت محروماً من فيضه دام ظله»[٣].

---

١. «مصـــباح الانس»: تأليف محمد بن حمزة الفناري الرومي، وهو من علماء الديار العثمانـــية ومن عرفاء القرن التاسع، والكتاب شرح على كتاب «مفتاح الغيب» لصدر الدين القونوي.

٢. تعليقة على شرح فصوص الحكم ومصباح الانس، الإمام الخميني، ص٢٠٩. وقد واصـــل الإمام دراسة كتاب مصباح الانس عند الشاه آبادي حتى عام ١٣٥٤ هــ، أي إلى حين انتقال الشاه آبادي إلى طهران.

٣. المصـــدر نفسه، ص٢٥١. يذكر ان المرحوم الشاه آبادي عاد إلى طهران في عام ١٣٥٤هـــ، بعد ان أمضى سبع سنوات في قم، وقد انتهى الإمام الخميني من كتابة تعليقته على مصباح الانس في مسقط رأسه خمين بتاريخ ٢٦ جمادى الثانية من عام ١٣٥٥هــ.



المرحوم الميرزا هاشم الآملي قدس سره:

أستاذنا الكبير

كان أستاذنا الكبير الميرزا محمد علي الشاه آبادي فقيهاً أصوليا وفيلسوفاً عارفاً؛ تتلمذت على يديه في طهران وكانت البداية معه في الرياض[1] والفصول[2]. أي أنني رجعت إليهما بعد أن كنت قد أتممت اللمعة وشرحها.

كما تتلمذت على يديه في قم أيضاً مدة خمسة أعوام درست فيها الفلسفة والعرفان.

وكتابا الرِّياض والفصول من أصعب الكتب العلمية في علمي الفقه والأصول، ولا يقدر على تدريسهما بشكل جيد إلا من كان ماهراً في كلا العِلمين. فكتاب الرياض كتاب مهم للغاية، حتى لقد

---

١. رياض المسائل، تأليف السيد علي الطباطبائي المتوفى سنة ١٢٣١ هـ في كربلاء.

٢. الفصول الغروية في الأصول الفقهية، تأليف الشيخ محمد حسين بن عبد الرحيم الاصفهاني، المتوفى ١٢٥٤ أو ١٢٦١ هـ في كربلاء. جاء في ريحانة الأدب، في شأن هذا الكتاب: «إن ما فيه من فهم لنمطالب واستحضار للمسائل والتدقيق فيها لمفخرة للأفاضل».

أَلّف كتاب في وجوه التأمل فيه. وقد كان المرحوم الشاه آبادي يذكر خلال الدرس أفضل الوجوه المحتملة لموارد التأمل الواردة فيه[١].

مهارته الخطابيَّة

ومن خصائص الشيخ الشاه آبادي أيضاً أنه كان خطيباً مفوّهاً ماهراً في الخطابة. وكان يخطب في المسجد الجامع بطهران مدّة ساعة ونصف واقفاً على قدميه.

أتذكّر أنني حضرت خطبة له في قم في مجلس ضمَّ جمعاً من العلماء، وقد بلغت مهارته في الخطابة حينئذ ذروتها، إذ تحدث خلالها عن كرامة للإمام الرضا عليه السلام عندما استحالت صورةٌ لأسدٍ على ستائر القصر إلى أسد حقيقي، لقد أبدع حقا إذ أخذ بلُبابنا جميعاً وأخذنا بعيداً بالأسلوب الذي كان يروي به الحادثة[٢].

سيبقى الرجل مجهولاً

ومن خصائص أستاذنا أنه كان رحيماً مفعماً بالعاطفة النبيلة، يعامل الناس بأخلاق متميِّزة تميِّزه عن سائر العلماء.كان لا يأنف إن

---

١. أستاد زاده، الحوزة العلمية للشهيد الشاه آبادي، ص٥٩.

٢. المصدر نفسه، ص٦٤.

قيل له: درّس «السيوطي»[١] أو «الأمثلة»[٢]، أو الرسائل والمكاسب[٣]، وقد حجبه تواضعه هذا الناشئ من حبّه للناس عن الشهرة حتى بقي مجهولاً.

عندما جئنا إلى قم أخذنا عليه، ورجوناه ألاّ يدرس غير درس الخارج[٤].

مهارته في الفقه والأصول

لم يكن الشيخ الشاه آبادي بارعاً في الفلسفة والعرفان وحسب، بل ربما كانت مهارته في الفقه والأصول تفوق مهارته في الفلسفة، لكن الجانب العرفاني كان قد طغى على سائر أبعاده العلمية حتى حال ذلك دون اشتهاره بين الناس بالفقه والأصول [٥].

---

١. السيوطي، كتاب في النحو، وهو شرح على ألفية ابن مالك، يُدرس عادة في المرحلة الثانية، بوصفه درساً من دروس المقدمات في الحوزة العلمية.

٢. الأمثلة وشرح الأمثلة، من دروس المرحلة الأولى في الحوزة، وأول كتاب في علم الصرف.

٣. الرسائل والمكاسب، من دروس السطوح في الحوزة العلمية، يدرس في المراحل: السادسة، السابعة، الثامنة، والرسائل كتاب في علم اصول الفقه، أما المكاسب فهو في الفقه الاستدلالي، وكلا الكتابين للشيخ مرتضى الانصاري.

٤. استاد زاده، الحوزة العلمية للشهيد الشاه آبادي، ص٦٢ و٦٣.

٥. المصدر نفسه، ص٥٩.

القاطرجي

كان الشيخ رحمه الله لا يذكر ذلك الخبيث[١] إلا بهذا الاسم: «قاطرچي» و«چاروادار» [٢] وكان يذكره بهذين الاسمين حتى في محاضراته[٣].

المرحوم السيد رضا بهاء الديني قدس سره:

درس الأسفار



عندما كنَّا ندرس الأسفار عند المرحوم الشيخ الشاه آبادي كنا نرى الإمام يخرج من الغرفة الخلفية، إذ كان يدرس عند الشيخ الشاه آبادي «الفصوص»، ويتدارس (يتباحث) معنا في «الأسفار» [٤].

---

١. رضا خان، مؤسس الأسرة البهلوية ووالد محمد رضا الذي أطاحت الثورة الإسلامية الإيرانية بحكمه.

٢. قاطرچي = چاروادار: وتعني الحوذي (العَربجي) أو سائق الحمير.

٣. مجلة (آسمان عرفان)، العدد ٧١، نقلا عن مجموعة «لقاء مع الابرار»، ص٨٠.

٤. الأسفار الأربعة، كتاب في الفلسفة، تأليف الفيلسوف المتألّه صدر الدين الشيرازي رحمه الله.

المرحوم السيد مرتضى پسنديده قدس سره(١):

دراسة العرفان



كانت معظم دراسة الإمام رحمه الله على يد الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، لكنه في الوقت نفسه كان قد بدأ بدراسة المعارف المعنوية والعرفانية بشكل جاد، وقد تكفّل تدريسه في العرفان المرحوم الميرزا محمد علي الشاه آبادي قدس سره(٢).

١. شقيق الإمام الخميني رضوان الله عليه، ولد سنة ١٣١٣ هـ، أي قبل سبعة أعوام من ولادة الإمام في مدينة خمين.

٢. خاطرات پسنديده (ذكريات بسنديده)، محمد جواد مرادي نيا، نشر حديث ١٩٩٥م، ص٥١.

الشهيد الأستاذ مرتضى مطهري :



أمّه جهنّم

ذهبت، ذات يوم، إلى منزل المرحوم الشاه آبادي ففسر الآية المباركة: ﴿وأمَّا مَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ﴾(١).

قائلاً:

«سُمِّيت الأم أماً لأن الطفل يؤمها أي يقصدها. فالآية تريد أن تقول: ان الإنسان العاصي عندما يهوي في جهنم، فان جهنم هي ذات المقصد الذي أمضى كلّ عمره بالسعي إليه، فهي مقصده الذي كان يتحرك صوبه، وها هو يلتقي بأمه أخيراً، انه ابنها، وقد سقط في أحضانها»(٢).

الرجل المجهول

كان المرحوم الشاه آبادي يؤم الصّلاة في المسجد الجامع بطهران، وكان رجلاً مجهولاً لا يعرف مكانته أحد، فأهالي طهران

---

١. القارعة: ٨ و٩.

٢. تفسير القرآن، نشر رجعت، ص٣٠٠ و٣٠١؛ انظر أيضاً: الإسلام وإيران، مصدر سابق، ص٥١٧.

كانوا ينظرون إليه على أنه إمام جماعة في الصلاة من الطراز الأوَّل ليس إلَّا، فيما كان الشيخ الشاه آبادي أسمى من مجرد ذلك بكثير وأعظم.

أتذكَّر أن العام ١٣٥٦ هـ كان هو العام الدراسي الأول لي في قم، وقد كنت درست قبل ذلك في مشهد سنةً أو سنتين، وعندما قدمت إلى قم كنت أسمع الكثير عن المرحوم الميرزا محمد علي الشاه آبادي الطهراني، لقد تربّى الكثيرون على يد ذلك الرجل الكبير، فكنت متشوِّقاً لرؤيته كثيراً.

وعندما ذهبت، بعد عامين، من إقامتي في قم إلى طهران قاصداً الذهاب إلى مشهد، شدّني شوقي إلى المسجد الجامع (مسجد الجمعة) لألتقي هناك الشاه آبادي. كنت حينها شاباً في العشرين، دخلت المسجد، وجلست أمام الإيوان؛ حيث يقيم الشاه آبادي الصلاة، فرأيت شخصين يتحدثان مع بعضهما البعض، كان أحدهما قادماً من إحدى المدن البعيدة وكان يقول لصاحبه: «لقد جئنا إلى هذه المدينة منذ سنوات ولم نستفد منها شيئاً، ولكننا تعلمنا التوحيد من هذا الرجل» .

عندها قلت في نفسي: ما أجمل أن يتسنَّى لأحدنا إحياء ولو إنسان واحد[1].

---

١. تفسير سورة القارعة، ص٢٩٩ و٣٠٠.

كان فريداً في العرفان

كان الميرزا محمد علي الشاه آبادي، طهراني الأصل، جامعاً للمعقول والمنقول، كان في الفلسفة والعرفان تلميذاً للميرزا جِلوه[١] والميرزا الأشْكَوَري. بلغ في طهران مقام المرجعية والإفتاء، هاجر إلى قم أيام إقامة المرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة فيها، فنهل الفضلاء من نبعه الصافي. لم يكن له نظير في العرفان، فقد أخذ العرفان منه عدد كبير من علماء حوزة قم، وقد تتلمذ على يديه أستاذنا الأكبر (الإمام الخميني)، فكان يثني عليه ثناء كثيراً ولا سيما في العرفان. وكان جميع أساتذتنا يجلّونه كل الإجلال، حتى ربما فاق إجلالهم له في المعارف الإسلامية (العقائد) الشيخ عبد الكريم الحائري نفسه[٢].

---

١. الفيلسوف الكبير الميرزا أبو الحسن الاصفهاني جِلوه (ولد سنة ١٢٣٨، وتوفي سنة ١٣١٤هـ)، وكان أحد الحكماء الأربعة في العصر القاجاري، قطن في طهران، وهو من تلامذة الملا هادي السبزواري، وكان واحداً من أبرز شعراء العصر الأخير وحكمائه، يتجلى مستواه العلمي من خلال العمق والسعة اللذين تميَّزت بهما نتاجاته العملية، شرح أشعار صدر الدين الشيرازي شرحاً وافياً ممتعاً.

٢. تفسير سورة القارعة، ص٣٠٠.

الشهيد مهدي الشاه آبادي



قل لكبيركم يأتي

عـــندما أمـــر رضا خان برفع المنبر من المسجد الذي كان يقيم فيه الشاه آبادي الصلاة حتى يمنعه من أن يخطب في النَّاس، لم يــنفعه ذلـــك، فقد ظل الشيخ الشاه آبـــادي يخطـــب في الناس واقفاً، وكان رجـــال الشـــرطة يداومون على تسجيل خطاباتـــه ورفع تقاريرهم بشأنها.

وذات مرّة، جاء رئيس المخفر بنفسه إلى المسجد، وعندما أراد دخول حرم المسجد بحذائه صاح به الشيخ الشاه آبادي: فاخلع نَعلَيك[1]، ونهره بشدة حتى أخافه وجعله يغادر المسجد.

وعندما خرج الشيخ من المسجد، لاحقه رجال الشرطة وطلبوا منه أن يتعهد بعدم الخطابة، فأجابهم بلهجته الأصفهانية قائلاً: «قل لكبيركم يأتي»، وعندما حاولوا إجباره مدَّ إليهم يديه صائحاً: «خذوني، أقول لكم: خذوني»، فألقى فعله هذا وهيبته الرعب والفزع

---

١. طه: ١٢.

في قلوب أفراد الشرطة؛ الأمر الذي جعلهم يرتدون إلى الوراء بضع خطوات من دون أن يجرؤوا على فعل شيء، وعادوا من حيث أتوا[١].

المرحوم السيد أحمد الزنجاني[٢]:



رؤيا صادقة

الرؤيا التي أنقذت إنساناً من الموت، هي رؤيا للميرزا محمد علي الشاه آبادي من علماء طهران المعتمَدين، وقد روى ذلك قائلاً:

«رأيت نفسي في المنام ذات يوم جالساً مع بعض الاشخاص على سطح مرتفع، وكان معنا طفل يلهو ويلعب بالقرب منا، فخشيت على الطفل أن يسقط من أعلى، وفيما كنت منشغلاً بالحديث كنت أرقب الطفل بحذر، فجأة وإذا بالطفل سقط. وفي تلك اللحظة نهضت من نومي فزعاً، وما إن أخرجت رأسي من الغرفة حتى رأيت الطفل الذي رأيته في المنام نفسه واقفاً على حافة خزان الماء، فأردت

---

١. استاد زاده، الحوزة العلمية للشهيد الشاه آبادي، ص٥٧.

٢. المتوفى سنة ١٣٩١ هـ، والد السيد موسى الشبيري الزنجاني الذي كان من أصدقاء الإمام الراحل وزميله في الدراسة.

أن أصيح به ليرجع، لكنه سقط في الماء حالاً، فركضت إليه وانتشلته، ولو أني تأخرت في نومي لحظات لغرق الطفل ومات»[١].

محمد الشاه آبادي

كلمة سامّة، قتلت قائلها

كانت الحمّامات قديماً عامّة ولها أحواض ماء. ذات يوم ذهب الشيخ الشاه آبادي إلى الحمام، وبعد أن اغتسل وأراد الخروج مر بجانب الحوض، فكان يحتاط في مشيه كي لا تصل إليه المياه القذرة.

وكان في الحمام عقيد في الجيش يستحم أيضاً، فلما رأى احتياط الشيخ راح يسخر منه ويوجه له الإهانة، فتأذى الشاه آبادي من ذلك كثيراً، لكنه لم يفه بكلمة، ومضى في طريقه خارجاً من الحمام.

وفي الغد، وفيما كان الشيخ شاه آبادي مشغولاً بإلقاء الدرس، سمع أصوات مشيعين يحملون جنازة، فسأل عن المتوفى؟ فقيل له: إنه العقيد فلان، كان قد ذهب بالأمس إلى الحمام فلما خرج ظهرت دمامل في لسانه، أخذت تؤلمه بشدة من دون أن يتمكن الأطباء من علاجه، فمات ولما يمض على ذلك يوم واحد.. لقد سرى سم كلماته إلى جسمه فقتله...

---

١. الكـــلام يجـــرّ الكلام، سيد أحمد زنجاني، ج١، ص١١٠. الجدير ذكره أن هذا الكتاب ألف عام ١٣٥٦هـــ، أي في حياة الشاه آبادي.

فكان الشيخ الشاه آبادي، كلما تذكر الحادثة، تألم كثيراً، وكان يقول: «ليتني رددت عليه حينها ولم أسكت عنه، ولو فعلت ذلك لما أصابه ما أصابه»[١] .

العربة الملكية

خلال المدّة التي قضاها الشيخ الشاه آبادي متحصّناً[٢] في حرم عبد العظيم الحسني عليه السلام، سعت حكومة رضا خان إلى إرضائه وإنهاء تحصنه بمختلف الطرق والوســائل. حتى ان رضا خان أبدى استعداده للقائه بنفسه في الحرم والتفاوض معه. وقد أرسل إليه مرّة العربة الملكية لتعيده إلى بيته، لكن الشاه آبادي لم يكن بالشخص الذي تخدعه مثل هذه الأعمال فرفض ركوب العربة. وكان يفتي بحرمة جميع أشكال التعاون مع رضا خان ويرفض حتى استقباله[٣].

عقل متجسّد

كان الشيخ الشاه آبادي يحترم أساتذته أيما احترام، وبخاصّة

---

١. آسمان عرفان، مصدر سابق، ص١٢٥.

٢. بــدأ الشــاه آبــادي تحصنه مع بدء سلطنة رضا خان، وهي سنة ١٣٤٤هـ. والجديــر ذكره أن رضا خان كان قد فرضه الإنكليز وزيراً للحرب بعد احتلال طهران، ثم رئيساً للوزراء (المترجم).

٣. آسمان عرفان، مصدر سابق، ص٦٤.

أستاذه الآخوند الخراساني، وقد وردت له كلمات في كتابه «شرح الكفاية»[١] تنم عن حبه واحترامه الشديدين لأستاذه، فهو لا ينفك يقول: روحي فداه، كلما ذكر اسمه أو ذكر رأياً له، وكان يقول عنه: «الآخوند عقل متجسد»[٢].

العلم ليس بالأوراق

أشاع بعضهم أن الشيخ الشاه آبادي حكيم وليس مجتهداً، وذات يوم، جاء رجل لدفع سهم الإمام عليه السلام لديه، فطلب منه أن يبرز له إجازاته في الاجتهاد، فتأذّى الشيخ من قول الرجل هذا، وطلب من زوجته أن تأتيه بالصندوق الذي فيه إجازاته في الاجتهاد، فما أن جاءت بالصندوق حتى استخرجها جميعاً ومزقها أمام عيني الرجل، ثم أشار إلى صدره، وهو يقول:

«العلم ليس بالورق، ان قوة الاجتهاد هنا، وعندما منحني العلماء الإجازة في الاجتهاد، فذاك لأهليتي العلمية، أما أنا فلم أكن يوماً ساعياً للحصول على هذه الإجازات».

تعبِّر هذه الحادثة عن مدى استقامة هذا الرجل الإلهي ونزاهته، إذ لم يكن يعتمد في إثبات مستواه العلمي على هذه الشهادات رغم

---

١. النسخة الوحيدة لهذا الشرح ليست في متناول اليد مع الأسف.

٢. آسمان عرفان، مصدر سابق، ص٤٧. انظر أيضاً: مجلة التوحيد، العدد ٦٦، ص ١٣٠- ١٣٦.

ما لها من قيمة معنوية لا ينكرها أحد، وهكذا تلفت جميع إجازاته ولم يسلم من التمزيق غير واحدة كانت موضوعة بين صفحات أحد كتبه، وهي إجازة المرجع الكبير الميرزا محمد تقي الشيرازي[١]، فكانت زوجته كلما تذكرت الحادثة تأسّفت لإحضارها الصندوق[٢].

أسلوب مناسب للنهي عن المنكر

كان يسكن على مقربة من منـــزله، في شارع أمير كبير، طبيب اسمه أيوب، وكان للطبيب بنات أحضر لهن معلماً للموسيقى، فكان صوت الموسيقى يرتفع عالياً إلى حدّ يؤذي معه الجيران، فأرسل إليه الشاه آبادي من يطلب منه الكف عن ذلك، لكن الطبيب أعلن أنه لن يفعل، وللشاه آبادي أن يفعل ما يشاء.

فصبر الشاه آبادي منتظراً حلول يوم الجمعة، فلما اجتمع الناس في المسجد الجامع ذلك اليوم قال لهم: «أريد من كل من يمرّ منكم

---

١. توجد نسخة مصورة للاجازة في ملاحق الكتاب، والجدير بالـــذكر أن المـــيرزا الشيرازي، رغم كثرة من حضر درسه وتتلمذ عليه، لم يمنح إجازة اجتـــهاد إلاّ لستة أشخاص فقط أحدهم الشيخ الشاه آبادي. يذكر أيضاً أنه بقي غير إجـــازة الاجتهاد إجازة أخرى بالرواية وأخرى في الأمور الحسبية، أدرجت كلاهمـــا في الملحق المذكور.

٢. آسمان عرفان، العدد ٧١، نقلا عن مجموعة: لقاء مع الابرار، ص٨٤ و٨٥.

بعيادة الدكتور أيوب في هذا الشارع أن يدخل العيادة ويسلم على الطبيب، ويطلب منه بكل بلطف أن يترك عمل المنكر».

فصار كل من يمر من أمام العيادة يدخل إليها ثم يسلم على الطبيب، ويذكر له الأمر بأدب ويخرج، والناس يفعلون ذلك أداء لواجب شرعي.

فلما مضت بضعة أيام، ورأى الدكتور أن مئات الناس تدخل عليه يومياً لتقول له شيئاً واحداً، وجد أنه لو أصرّ على موقفه، فسيكون مجبراً على إغلاق عيادته، بل على مغادرة الحي كله، فكف عن إيذاء الناس، وأوقف دروس الموسيقى.

وصادف الدكتور ذات يوم الشيخ الشاه آبادي وهو في طريقه إلى المسجد، فلم يتمالك نفسه من الضحك، وبعد أن سلم على الشيخ قال له: لقد حسمت الموضوع بقوة الشعب، .. وكنت أحسب أنك ستترافع للقضاء والمحاكم حيث أستطيع الرد عليهم بسهولة.. ولم يخطر ببالي أبداً هذا الأسلوب الشعبي[١].

يحضر درس الميرزا احتراماً له

بعد وفاة الآخوند الخراساني قرر الشاه آبادي الهجرة إلى سامراء للاشتراك بدروس الميرزا الشيرازي، ومع أن الدرس قد لا يضيف إليه

---

١. المصدر نفسه، العدد ٧١، نقلا عن: مجموعة لقاء مع الابرار، ص٨٧ و٨٨.

شيئا لتجاوزه مرحلة الدراسة، فقد كان يواظب على الحضور في درس الشيرازي تعزيزاً لمكانة المرجع الكبير وتقديراً له[١].

معرفته بالرياضيات وإتقانه للفرنسية

ألمّ الشيخ الشاه آبادي بعلم الرياضيات[٢] بل وكان له باع في بعض العلوم الغريبة كالجَفر[٣] والرَمل والاسطرلاب التي لا يجيدها إلا قلة تعد بالأصابع، حتى أن بعض من يعرف هذه العلوم كان يراجع الشاه آبادي إذا أشكل عليه شيء منها [٤]. هذا وكان الشاه آبادي يجيد اللغة الفرنسية أيضاً.

له في كل يوم حديث جديد

كان الإمام الراحل يهتم كثيراً بدروس الشيخ الشاه آبادي ويقول: «لو بقي الشيخ آبادي يدرّس سبعين سنة لحضرت دروسه جميعاً، لأن له في كل يوم حديثاً جديداً».

---

١. المصدر نفسه، ص٤٩ و ٥٠.

٢. درس الشـــاه آبادي الرياضيات على العميد عبد الرزاق خان بُغايري الذي كان أســـتاذاً في الكلية العسكرية، وكان يكنّ للشيخ الشاه آبادي حبا جما، له كتاب في موضوع القبلة.

٣. ترك الشاه آبادي رسائل في علم الجفر.

٤. آسمان عرفان، مصدر سابق.

ستكون أول من سَيَركله

قال الشيخ الشاه آبادي للشهيد «حسن مدرّس» غير من مرّة: «إن هذا الصعلوك يقبّل أيدي العلماء والمراجع ويتظاهر بالتديّن ويتشدق بحبّ أهل البيت ما دام لم يصل إلى السلطة بعد... ولكن ما أن يصل إلى السلطة حتى يدير ظهره لجميع العلماء، وإن أول من سَيَركُله هو أنت»[1].

---

١. يعود هذا الحديث إلى ما قبل عام ١٩٢١ حيث كان رضا خان مشغولاً بقمع الثورة في إقليم الشمال الإيراني، ومعروف ان الإنكليز أوعزوا إليه بقيادة فرقة القوزاق واحتلال طهران، وقد عيّن وزيراً للحرب بالقوّة، وبعدها رئيساً للوزراء، وكان يسعى للإطاحة بالحكم القاجاري فتقدم بمشروع الجمهورية، لكن مدرس أحبط محاولاته لعلمه بعمالته للإنكليز، غير ان رضا خان كان ماكراً، فراح يتظاهر بالتدين ويسعى إلى إرضاء المؤسسة الدينية، فكان يشترك في مواكب العزاء على مقتل الإمام الحسين الشهيد، ويعقد مجالس التعزية في معسكر القوزاق ويلطخ رأسه بالطين، وكانت البلاد من الضعف وملوك القاجار من البلادة بما لا يمكن ضبط الأوضاع، فبرزت الحاجة إلى حاكم قوي وساعدت الظروف والألاعيب السياسية على صعود رضا خان ليصبح ملكاً مطلقاً، وسرعان ما تحقّقت نبوءة الشيخ الشاه آبادي، فقد لبس الملك الجديد جلد النمر وراح يبطش بمعارضيه وكان الشهيد حسن مدرِّس أولى ضحاياه.

الشيخ هاشمي رفسنجاني

المعلم الكبير

كان المرحوم الشاه آبادي من أساطين العصر، عرفه القاصي والدَّاني، وكان الجميع يعدّه حجة في عالم الإسلام.

كثيراً ما كان الإمام الراحل، الذي نعدّ كلماته حجة قوية علينا، يعبّر عن إعجابه بالميزات الروحية لهذا الرجل العظيم، ولا يخفى على أحد حجم التأثير الذي تركه الشيخ في شخصية الإمام... ولا يزال تلامذة المرحوم الشاه آبادي في طهران يعدون من أعمدة المجتمع الإسلامي. فعندما يستمع المرء إلى واحد من أولئك الذين نهلوا من منبره ودرسه، يشعر بروح ذلك الكبير حاضرة معهم.

شجرة العرفان القويّة

لعب المرحوم الشاه آبادي في ما تلا (آب ١٩٤١) – وهي مرحلة قمع وإرهاب – دوراً جديراً بالدراسة على الصعيد السياسي والاجتماعي وكذلك العرفاني. حيث أخذ عرفان هذا الرجل في تلك المرحلة بالذات يتجسد، ويعطي ثماره ويلقي بظلاله على المجتمع كشجرة طيبة ثابتة لا تزال تجود بالثمر. لم يكن الشاه آبادي صاخباً في صراعه مع الظلم، بل كان تحركه هادئاً ربما أمكن تشبيهه بما قام

به الإمام السجاد عليه السلام بعد واقعة عاشوراء للدفاع عن كيان أهل البيت وحفظ التشيُّع، وإبقاء مشعل الحق متوهِّجاً.

تلامذته في طهران

عندما جئت إلى طهران، وكانت المواجهة قد بدأت، تعرفت من خلال نشاطاتنا الجهادية إلى الكثيرين في البازار (السوق) وفي أماكن أخرى. فأحسست حينها أن الجميع كانوا متأثِّرين بشكل أو بآخر بدروس الشيخ الشاه آبادي وخطبه. وفي المحاضرات التي أقمناها بطهران في تلك المرحلة التقيت بتلامذة له كان يبدو عليهم انهم ذوو تجارب وينقلون تجاربهم إلى الآخرين. وإنه لمن الضروري أن يتم البحث عن تلامذته والعثور عليهم واحداً واحداً، لأنهم لم يكونوا من تلامذته الرسميين، بل يحضرون خطبه ومواعظه في المسجد فيتعلمون منه، فينعكس أثر ذلك منهم على الآخرين. نعم لقد أوجد تياراً كهذا.

شهادة على العرفان

شكلت الشمولية التي توفرت عليها أفكار الشاه آبادي شاهداً على صحة عرفانه... فعندما يصبح شخص ما عارفاً، ثمَّ يتحوَّل إلى زاهد متصوِّف انعزالي فليس ذلك إلا دليل على انحراف عرفانه، وانه ينظر إلى عالم الواقع من زاوية خاطئة، وإلا فلو كان توجُّهه هذا

صحيحاً لفعل النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام مثل ذلك.

وإن المرء ليشعر بالدهشة من إنسان عارف عندما يخاطب الناس بشأن مشكلات المجتمع قائلاً: «إن حالنا مؤسف حقاً، نبيع قطننا للأجنبي، المنَّ بست ريالات، ثم نعود لنشتري منتوجاته منه، المنَّ بستة آلاف ريال..» لا أدري إن كان السعر كذلك حقاً أم انه أراد أن يبيِّن لهم حجم الحيف والاستغلال اللذين كان الأجنبي يمارسهما عليهم، ثم أضاف قائلا: «لماذا يتخلف المسلمون في الصناعة هكذا؟ ولماذا حالنا هكذا؟»

كان بعضهم يرد عليه قائلاً: إنهم (الأجانب) يعملون كالخَدَم لنا، يأخذون قطننا، ثم يصنعون منه الملابس ليعطوه إيّانا جاهزاً! فكان يعترض الشيخ على مثل هذا الكلام قائلاً: أيُّ كلام فارغ هذا؟ كيف يصح أن تُبدَّد ثروة العالم الإسلامي بهذا الشكل..

هكذا كان عرفانه، إنَّه لا يهمل التقدم والنمو المادّي في حياة الإنسان والمجتمع.

الإسلام دين سياسي

كان يعتقد بأن الإسلام دين وسياسة، وبأنَّه يهتم بجميع الشؤون السياسية، وكانت أفكاره هذه في وقت كان علماء الدِّين فيه قد نأوا بأنفسهم بعيداً عن الشأن السياسي، لأن «بهلوي» أراد لهم أن يكونوا «جلساء بيوتهم»، فلا شيء في الإسلام في رأيه ينفصل عن السياسة

حتى الصلاة والصوم والحج والخمس والزكاة والطهارة، ذلك أن الإسلام ايدولوجية شاملة لجميع البشر.

لقد تركوه وحيداً

وعندما رأى النِّظام البهلوي يسيء للإسلام والمسلمين، ويضع القيود على المساجد والحسينيات، ضاقت بالشاه آبادي السبل حتى قرَّر التعبير عن اعتراضه بالاعتصام في حرم السيد عبد العظيم الحسني (في مدينة الري جنوب العاصمة طهران). وكما هو معروف ومدوَّن ان الشيخ كان قد اصطحب معه عدداً كبيراً من العلماء، إلا انهم تراجعوا جميعاً وتركوه وحيداً إلاّ اثنين منهم[١].

لا أريد أن أحط من شأن سائر العلماء، فلكل منهم رؤيته التي يعمل وفقاً لها، ولكن ما أريد قوله هو أن قيام عالم لوحده من بين العلماء، بالرغم من جميع الأخطار التي تنتظره، أمر ليس بالسهل، وغاية في الصعوبة. فقد ظل معتصماً طوال أحد عشر شهراً، ولم يعد إلى طهران إلا بعد الرجاء والإلحاح الشَّديدين.

حركة شاملة وبنَّاءة

مثّل مجيء شخص كالشاه آبادي إلى طهران، في وقت بلغت الأوضاع فيه، زمن رضا خان، درجة كبيرة من التوتر بسبب إغلاق

---

١. أحدهما المرحوم الميرزا محمد القمي المعروف بحجة الاسلام.

الكثير من المساجد والحسينيات، نقلةً بنّاءة باتجاه مواصلة العمل الإسلامي، ولعل مشروع صناديق القروض الحسنة الذي ينتشر اليوم في ربوع إيران واحد من النماذج العديدة لنشاطاته آنذاك(١)، هذا إلى جانب التوسعات التي أحدثها في ما كان قائماً في حينه من مشاريع ونشاطات إسلامية.

آثار العرفان

إذا كان الإمام الراحل لا يخشى أحداً إلاّ الله، ولا يقدّم أمراً إلاّ الواجب، ولا يرى من عظيم في هذه الدنيا إلاّ الله عز وجل فيراها حقيرة جداً لا تساوي جناح ذبابة، فذلك بفضل علم الإمام وعرفانه، اللذين اقتبس الجزء الأكبر منهما بلا شك من المرحوم الشاه آبادي(٢).

---

١. أكد ذلك الكثير من تجار طهرن المتدينين وغيرهم ممن شهد تلك المرحلة. فقد قال الحاج محمود اخوان في لقاء أجري معه عام ٢٠٠١م: «لقد كلف الشاه آبادي حينها الحاج محمود فياض بخش، وهو من تلامذته بتأسيس صندوق القروض الحسنة، ولم نكن نعرف آنذاك مؤسسة من هذا النوع.»

٢. اقتبسنا جميع ما أوردناه هنا للشيخ رفسنجاني من كلمته التي ألقاها بمناسبة تكريم الشيخ الشاه آبادي في الذكرى الثالثة والخمسين لوفاته في حسينية إرشاد بتاريخ ٢٦/٤/٢٠٠١م.

السيد أحمد الفهري

آثار العرفان

كان الإمام الراحل يولي احتراماً خاصاً لأستاذه في العرفان المرحوم الشاه آبادي، فكان لا يفتأ يذكره في كتاباته بعبارة «الشيخ العارف الكامل روحي فداه»[1].

الشيخ محمد الإمامي الكاشاني

روح الله

بعد وفاة المرجع البروجردي رحمه الله، صارت المرجعية إلى الإمام الخميني وآخرين، واشتدَّت المواجهة. وكان الإمام الراحل يمتلك في الحقيقة رؤية عميقة، إذ كنا نلمس فيه هذا العمق خلال دروسه التي كنا نحضرها منذ زمن السيد البروجردي، وعندما كان الإمام لا يزال طالباً يحضر درس المرحوم الشيخ شاه آبادي، كان الشيخ يثني عليه بقوله: «انه إنسان فريد»[2].

---

١. ترجمة شرح دعاء السحر، للإمام الخميني، ترجمه إلى الفارسية السيد احمد الفهري، ص٢٢.

٢. مذكرات ١٥ خرداد، ج١، مكتب ادبيات الثورة الإسلامية، ص٢١.

إنّه لطف ربّاني

وقال الإمام الراحل في حق أستاذه في العرفان: «إن المرحوم الشيخ الشاه آبادي لطف ربّاني». لقد اكتسب الإمام أبعاده العرفانية، أي الجانب المعنوي والعقدي في شخصيته، من هذا الأستاذ[١].

الشيخ الخلخالي

مَن الأنسب؟

روى السيد نصيري السَّرابي، وهو من تلامذة الإمام الرَّاحل: ذهبت في شعبان، ذات سنة، إلى الإمام وسألته: من الأنسب من العلماء برأيكم للحضور عنده في شهر رمضان؟ فقال: «اذهب عند منبر الشيخ الشاه آبادي».

فواظبت بالفعل على حضور مجلسه اليومي خلال شهر رمضان، واستفدت منه فائدة عظيمة[٢].

---

١. پا به پای آفتاب (في ركاب الشمس)، ج٢، ص٢٦٢.

٢. المصدر نفسه، ج٣، ص٥٤.

الشيخ بني فضل

الحضور قبل البسملة

حضرت بحوث الخارج في الفقه والأصول للإمام الخميني رحمه الله مدة ثماني سنوات، فلم يتأخر عن موعد الدرس يوماً أبداً. وهذا هو دأب الإمام عندما كان طالباً أيضاً، فقد كان منتظماً يحضر دروسه في وقتها المحدد. وقد أشاد أستاذه في العرفان والأخلاق المرحوم الشيخ الشاه آبادي بالتزام الإمام ودقته في الوقت، وقال عنه مرّة: «إن روح الله روح الله حقاً، لم يحدث أن تأخر مرة عن الدرس وجاء بعد البسملة، فما قلت بسم الله يوماً إلاّ وكان حاضراً»[1].

الشيخ جعفر السبحاني

بضع دقائق، أو عدّة ساعات

يقول الشيخ الشاه آبادي: «عندي تلميذ اسمه روح الله، لو درّسته بضع دقائق فقط لما قال: هذا قليل، ولو درّسته عدّة ساعات لما قال: هذا يكفي»[2].

---

١. مجلة حوزة، العدد ٤٩، ص٣٨ - ٣٩.

٢. آسمان عرفان (سماء العرفان)، العدد ٧١، عن مجموعة لقاء مع الأبرار.

إنسان بهذا القدر

وكان الإمام يقول عن أستاذه الشاه آبادي كلما ذكره: «لم أر إنساناً بهذا القدر».

الشيخ محمد رضا توسّلي

تلاوة سورة الحشر

رأيت في وصايا الإمام الراحل لابنه أحمد، كما سمعت منه أيضاً قوله: «طالما أوصاني أستاذي بتلاوة سورة الحشرة، وبخاصة آياتها الأخيرة؛ حيث يقول عز وجل: ﴿**يا أيُّها الذينَ آمَنوا اتَّقوا اللهَ ولْتَنْظُرْ نَفسٌ ما قدَّمَتْ لِغَدٍ واتَّقوا اللهَ إنَّ اللهَ خَبيرٌ بِما تَعمَلُونَ**﴾»[1].

الشيخ نور الله الشاه آبادي

كونوا خدماً لصاحب العصر

كان المرحوم والدي يرغّب أبناءه للإنخراط في سلك علماء الدين

---

١. صحيفة: اطلاعات، العدد ٢١٣٤٧، ص١٤.

والدراسة الدينية في الحوزة العلمية[١] برغم المشاكل التي كان يعانيها

---

١. أصـــدر رضا خان أمراً بتوحيد الزي، وطرح زيّاً جديداً يتألف من البدلة والقبعة الـــبهلوية، واستثنى من الإلزام القانوني المجتهدين والوعاظ الحاملين لتصريح خاص بذلـــك، وإن كان هؤلاء أيضاً لم يسلموا من مضايقات الشرطة. كان ذلك في شـــتاء عام ١٩٢٨، فقد صادق المجلس في دورته السابعة على قانون «توحيد زي الرعايا الإيرانيين في داخل البلد» في (١٢/٢٥ / ١٩٢٨م)، فبدأ في المرحلة الاولى تغـــيير الـــزي الإيراني منذ نيسان عام ١٩٢٩ بترويج «القبعة البهلوية»، ثم جرى الانـــتقال إلى المرحلة الثانية، عندما استدعى رضا خان أعضاء الحكومة وأمرهم بانـــتحال التقالـــيد الغربية واستبدال قبعاتهم بالقبعة الغربية، والحضور إلى المجلس المقرر افتتاحه بعد يومين بالقبعات الغربية، وأخيراً استبدل الشعب الإيراني قبعاته بقبعات غربية في أواسط حزيران من عام ١٩٣٥م؛ إذ صدر تعميم حكومي إلى المحافظـــات والمدن يقضي بارتداء القبعة الغربية التي اطلق عليها ((القبعة الدولية)). فعمّـــت المظاهرات مدينة مشهد المقدسة في ١١/٦/ ١٩٣٥ اعتراضاً على هذا الإجـــراء الحكومـــي التعسفي، وقد أدت الأوضاع إلى أن يرتكب النظام مذبحة مـــروعة في مســـجد جوهر شاه. فاضطر الكثير من علماء الدين إلى ترك صلاة الجماعـــة والدرس بسبب مضايقات الشرطة، فاختار بعضهم الجلوس في البيت، فـــيما تخـــلى بعضهم عن زيه الديني وانخرط في أعمال حرة، وكان بعض آخر يحمل صرة فيها ملابسه بيد والقبعة باليد الأخرى ويلوي ياقة جلبابه لتبدو كأنها معطـــف، فـــإذا دخـــل المسجد أخرج عباءته وعمامته من الصرة لإقامة صلاة الجماعـــة، ولبس كثير من العلماء قبعة شعبية بدل القبعة البهلوية لأن المرجع آية الله الســـيد ابـــو الحســـن الاصفهاني كان قد حرّم ارتداء القبعة البهلوية. يقول المـــرحوم آية الله خاتمي في مذكراته: «لقد تشددت السلطة في زمن الطاغوت =

طلاب العلوم الدينية آنذاك، وكان يقول لهم: «إنكم إنّما تعتاشون على فُتات مائدة ولي العصر، أرواحنا له الفداء، لذا عليكم أن تكونوا في خدمته لتؤدوا الدين الذي في أعناقكم».
وانطلاقاً من هذا المبدأ التحق سبعة من أبنائه [1] بسلك الدراسات الدينية والعلوم الإسلامية [2].

= بشأن موضوع الزي لدرجة الها منعت جميع علماء يزد وأردكان من لبس زي علماء الدين، فلم يتركوا في مقاطعة يزد معمماً واحداً، وبلغت وقاحتهم الهم منعوا حتى المرحوم اية الله غلام رضا اليزدي (الفقيه الخراساني) وهو من مراجع يزد المبرزين من لبس زي علماء الدين...»

١. للمرحوم الشاه آبادي أحد عشر ابناً وست بنات، أما أبناؤه من الذكور فهم كل من: آية الله محمد جواد الشاه آبادي المشهور بمطيعاي اصفهاني (ولد سنة ١٣١٦هـ) كان من فضلاء الحوزة، عاصر الإمام الخميني ﵀ توفي في حياة والده بمرض السرطان. آية الله حسين الشاه آبادي (ولد سنة ١٣٣٣هـ) توفي بالسرطان أيضاً بعد وفاة والده بخمس سنوات تقريبا. آية الله حسن الشاه آبادي، وآية الله محمد الشاه آبادي، وآية الله نور الله الشاه آبادي، وآية الله روح الله الشاه آبادي، وآية الله نصر الله الشاه آبادي، والشهيد آية الله مهدي الشاه آبادي (ولد سنة ١٣٦٣هـ)، كان وكيل الإمام الخميني ﵀ ونائباً في مجلس الشورى الإسلامي في دورتيه الاولى والثانية، استشهد في جبهات الحرب أثناء تفقده لجند الإسلام في جزيرة مجنون أيام الحرب العراقية الإيرانية. والمرحوم عبد الله الشاه آبادي (ولد سنة ١٣٦٨هـ)، والحاج عباس الشاه آبادي. أما بناته الست فقد زوجهن أبوهن جميعاً من العلماء السادة الأشراف.

٢. فصلية: تاريخ وفرهنگ معاصر، خريف سنة ١٩٩٢م، ص١٨٨.

أحد عشر شهراً من الاعتصام

كان المرحوم والدي يؤكد أنّ حكومة رضا خان تشكل خطراً على الإسلام، لذا راح يعمل على توحيد موقف العلماء لمواجهة مؤامرات النظام وفضحه والعمل على بث الوعي بين الناس. وقد عبّر عن اعتراضه بالاعتصام في حرم السيد عبد العظيم الحسني مدّة أحد عشر شهراً، ولم ينه اعتصامه إلاّ بعد إلحاح وإصرار شديدين من قبل الشهيد آية الله حسن المدرس والمرحوم الشيخ عبد النبي وجمع من العلماء والمؤمنين، وعاد إلى طهران وكان ذلك في سنة ١٩٣٧م[١].

مادامت الدماء تجري في عروقنا

في أيّام الاعتصام، كان والدي جالساً في زاوية من المرقد وقد سأله أحد كبار علماء النجف الأشرف[٢] عن علّة تحصّنة، فأجابه قائلاً: «نحن ورثة دين استشهد من أجله منذ زمن النبي الأكرم ﷺ وحتى اليوم - فضلاً عن الأئمة الأطهار عليهم السلام وأصحابهم - آلاف العلماء والمؤمنين، وما وصلت إلينا ثمار هذا الدين الحنيف إلا بفضل هذه الدماء الزكية وتلك التضحيات الجسيمة. وها نحن الآن مسؤولون في الدفاع عنه والتضحية في سبيله

---

١. المصدر نفسه، ص١٨٦.

٢. هو الميرزا مهدي الكفائي، نجل المرحوم الآخوند الخراساني.

ما دامت الأرواح في أجسامنا... علينا أن نصون هذه الشجرة الطيبة التي سقاها الشهداء بدمائهم، لأنها تتعرض اليوم لخطر التحريف والاندراس من قبل حكومة هذا المتجبِّر. نعم علينا الحفاظ على هذه الأمانة بكل وجودنا وألاّ نسمح بانتهاك حرمة هذا الدين، وليست دماؤنا بأقنى من دماء الماضين»[1].

فتوى حكيمة

ظهرت، في زمــن الشــيخ الشـاه آبادي، أجهزة حديثة مثل اللاسلكي والراديو، وكانت قد بدأت تنتشــر شيئاً فشيئاً، ولأن كل وسائل الإعلام العامة كانت تدار من قبل حكومة رضا خان، فقد كانت أغلب البرامج منحلة ومخالفة للإسلام، وتدعو إلى الثقافة الغربية؛ الأمر الذي دفع بعض العلماء إلى تحريم كل ما يبث من برامج الإذاعة، بل وتحريم استخدام الراديو أيضاً. أما الشاه آبادي فعندما سئل عن حكم استخدام هذه الاجهزة، أعرب عن أسفه لعدم سيطرة المسلمين على هذه الأجهزة، وهي وسائل إعلامية جيدة، إذ قال: «ان مثل الراديو كمثل لسان ناطق، فهو قادر علي نشر العلم والمعرفة والثقافة، كما هو قادر أيضاً على الهذيان والتجديف. لذا فإن شراء هذا الجهاز واستخدامه للبرامج المفيدة جائز».

---

١. فصلية: تاريخ وفرهنگ معاصر، مصدر سابق، ص١٨٧.

وعندما ظهرت مكبِّرات الصوت حرّم بعض العلماء استعمالها أيضاً، وعندما سأله بعضهم عن جواز نصب مكبّرات الصوت في المساجد قال مستنكراً: «أي سؤال هذا؟ يجب نصب هذه الوسيلة، ولا بد من أن يعرف الناس أن استخدامها في الموارد الصحيحة ليس جائزاً فحسب بل هو لازم»[١].

تربية الأطفال واليافعين

ولم يغفل الشاه آبادي حتى عن تربية الأطفال واليافعين، فقد خصَّص منــزله ــ الذي حوّله في ما بعد نجله الشيخ نصر الله الشاه آبادي إلى مستوصف يعرف بمستوصف الإمام الجواد عليه السلام ــ لتربية الأطفال واليافعين، وانتدب أناساً مؤهَّلين لتربيتهم والعمل على توجيههم وزرع روح الإيمان والتقوى في قلوبهم، وكان يشرف عليهم ويتفقَّدهم شخصياً، ويلتقي بالأطفال مع أولياء أمورهم مرة كل أسبوع، فيَعظهم ويحثهم على حفظ شعائر الإسلام[٢].

تأسيس صندوق القروض الحسنة

وفي مواجهةٍ عمليَّة منه للربا والمرابين قام رحمه الله بخطوتين منسجمتين:

---

١. المصدر نفسه، ص١٨٨.

٢. المصدر نفسه، ص١٨٩.

١- أسس شركة المخمَّس، التي كان يديرها بعض المؤمنين الملتزمين، وهي شركة مساهمة اتيح الاشتراك فيها للناس كافة.

٢- أسس صندوق القروض اللاربوية أو الحسنة في طهران.

وأتذكر أن المرحوم الحاج محمود فياض بخش الذي كان مديراً للصندوق قال: بلغت القروض التي منحها الصندوق عام ١٩٥٠م ١,٧٠٠,٠٠٠ تومان، وهو مبلغ ضخم آنذاك.

حانة تتحوَّل إلى مسجد

كان للمرحوم جدي[1] منـــزل مجاور لسراج الملك يسكن فيه معه والدي وعمي[2]، وكان بالقرب من منـــزلهم مبنى يملكه شخص اسمه «كِنت»، وهو رجل أرمني، قد خصصه للهو واللعب وصنع الخمور، ويقال: إن خمور البلاط الملكي كانت تعد في هذا المكان. فحينما اطلع جدي على الموضوع طلب من صاحب المبنى ترك هذه الأعمال المخالفة للشريعة عملاً بواجب النهي عن المنكر، فلما لم يُجدِ معه ذلك، اصطحب جدي والدي وعمي وجماعة من المؤمنين معه وذهب إلى المبنى، فبادر جدّي أولاً إلى دنِ خمرٍ فأراقه في البالوعة بنفسه، ثم أمر من معه ليريقوا بقيه الدنان من دونً أن يكسروا شيئاً أو يحدثوا ضجة، ثم خرجوا جميعاً بهدوء. فوصلت التقارير إلى ناصر

---

١. المرحوم آية الله محمد جواد الأصفهاني الحسين آبادي.

٢. المرحوم آية الله الميرزا محمد علي الشريف.

الدين شاه[١]، الذي أمر بالتحقيق في هذه المسألة، وعندما اطلع المرحوم جدي على اهتمام الشاه بذلك قرر العودة إلى أصفهان، التي كان قد أبعِد منها إلى طهران[٢].

فلما علم ظِلّ السلطان[٣] بقرار جدي، اقنع ناصر الدين شاه بإيقاف التحقيق، لأن عودته إلى اصفهان ستسبب لهم المشاكل، وأمر سراج الملك[٤] بإقناع جدي بالتراجع عن قرار العودة إلى اصفهان بأي نحو كان.

وقد أبلغ سراج الملك الشيخ جدي باستعداده لتنفيذ كل ما

---

١. رابع ملوك السلالة القاجارية، حكم إيران في المدة: (١٢٦٤-١٣١٣هـ).

٢. وقد ذكر قضية إبعاد الشيخ محمد جواد الأصفهاني من أصفهان إلى طهران الشيخ آقا بزرك الطهراني في كتابه طبقات أعلام الشيعة (ج٤، ص١٣٧٠) قائلا: «ومما فاتنا ذكره في ترجمته وقد رأيناه بعد ذلك في بعض كتبنا ومذكراتنا ان السلطان ناصر الدين شاه القاجاري أشخصه من اصفهان إلى طهران». ويبدو أن سبب نفيه هو أن الشيخ كان يقيم الحدود الشرعية في اصفهان، الأمر الذي أغضب الشاه فمنعه مرات من دون أن ينتهي، فنفاه إلى طهران. غير أن هذا الفقيه لم يتوقف عن مواجهته للنظام، بل واصلها طوال بقائه في طهران، ولعل القصة المذكورة أعلاه خير مثال على ذلك.

٣. لقب أطلق على مسعود ميرزا بن ناصر الدين شاه وولي عهده، المتوفى سنة ١٣٣٦هـ.

٤. لقب أطلق على رضا قلي خان، وهو أحد رجال العهد القاجاري ومن أعوان ظِل السلطان.

يطلبه حلاً للمشكلة، فاشترط الشيخ شراء المبنى وتحويله إلى مسجد في مقابل تراجعه عن قرار الرجوع إلى اصفهان.

وبناء على ذلك، اشترى سراج الملك المبنى وبدأ جدي بإقامة صلاة الجماعة في هذا المكان إلى أن تم استكمال بناء المسجد الذي أطلق عليه «مسجد سراج»[١].

وقد قيلت قصائد بالمناسبة، وخُطّ البيت التالي في أعلى بوابة المسجد:

«تأمل حسن التوفيق، كيف استحالت الحانة إلى مسجد على يدي سراج الملك».

تأسيس المواكب السيّارة

بعد عودته من سامراء إلى إيران قام، خلال مدَّة إقامته في طهران، بالإضافة إلى تأسيس حوزة علمية وإعداد الطلاب والعلماء، بأعمال مهمَّة في المجالات الاجتماعية والسياسية والتربوية، وكمثال على ذلك فإنه عمد إلى تأسيس المواكب السيارة، التي لا تزال مستمرة في إيران، وهي مجالس عزاء تتنقل كل مرة في بيت أحد أعضاء الموكب، وهو نوع من الإعلام المتنقل. وقد لعبت هذه المواكب دوراً أساسياً في النضال السياسي إلى جانب الوعي الديني

---

١. تجد في ملحقات الكتاب صورة لجانب من هذا المسجد الواقع في شارع أمير كبير.

الذي ساعدت على نشره[١].

تلامذته

إضافة إلى تلميذه المبرز الإمام الراحل ﭬ فقد تتلمذ على يدي الشيخ الشاه آبادي كل من:

١. المرحوم السيد شهاب الدين النجفي المرعشي[٢].

٢. المرحوم الآخوند ملا علي الهمداني.

٣. المرحوم السيد موسى المازندراني.

٤. المرحوم الشيخ شهاب الدين الملايري.

٥. المرحوم الشيخ محمد الثقفي الطهراني.

٦. المرحوم الحاج الشيخ راضي.

٧. المرحوم الميرزا حسن اليزدي.

٨. المرحوم الميرزا جليل الكمرئي.

٩. المرحوم السيد حسن الاحمدي.

١١. المرحوم الميرزا هاشم الآملي (اللاريجاني).

١٢. السيد علي البهشتي[٣].

وهناك شخصيات أخرى من تلامذته[١] نعرض عن ذكرهم

---

١. المصدر نفسه، ص١٨٥.

٢. مؤسِّس المكتبة العالمية المعروفة باسمه في مدينة قم المقدسة.

٣. وهو من مراجع الشيعة البارزين يسكن النجف (العراق) حالياً.

تجنبا للإطالة[٢].

تعليم المعارف الإسلامية

لقد حرص الشيخ الشاه آبادي على تعزيز الجوانب الفكرية والتربوية الأخلاقية والعلمية بين عموم الناس، منذ مجيئه إلى طهران وكذلك في أيام إقامته في قم، وواصل اهتمامه وركز حرصه عندما عاد إلى طهران ثانية، فكان يغتنم كل فرصة لإعداد أفاضل مستوعبين للفكر الإسلامي، وبذلك رفد المجتمع بنماذج كثيرة من هذا القبيل. وفي هذا الصدد، أتذكر أن الحاج مصطفى خان الايرواني قال: إنه كان يحضر برفقة الحاج عباس قلي بازركان (والد المهندس بازركان)[٣] لدى الشيخ الشاه آبادي لعدة سنوات، ويدوّن كل ما يسمعه منه، ثم يترجمه بنفسه إلى الألمانية لعزمه على نشره يوماً ما.

وأتذكر، أيضاً، أنني ذهبت لعيادة المرحوم الشيخ علي محدث

١. من تلاميذه، أيضاً، المرحوم السيد مصطفى صفائي الخونساري الذي حضر دروس الشاه آبادي في العرفان، والشيخ حق شناس حفظه الله الذي تتلمذ عليه في طهران، والمرحوم البروفسور عبد الجواد الفلاطوري، أستاذ جامعة كلون (في المانيا) وعميد معهد كلون الإسلامي العلمي (المتوفى سنة ١٩٩٦)، والدكتور ابو القاسم الكرجي وغيرهم.

٢. المصدر نفسه، ص١٩٠.

٣. رئيس الحكومة المؤقتة بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران.

زاده[١]، وكان قد سبقني لعيادته شاب من الفضلاء كما عرّفني هو بنفسه، وعندما سألته عن الحوزة التي درس فيها، قال: إنه من تلامذة المرحوم الشاه آبادي، ثم علمت بعد حوار طويل انه كان يحضر دروسه المسائية في المسجد الجامع التي كان يلقيها في العلوم الإسلامية بعد الصلاة في أربع ليالٍ من كل أسبوع[٢].

الشيخ نصر الله الشاه آبادي

الصلاة على فاطمة الزهراء

كان المرحوم والدي (الشاه آبادي) يقول: «انتبهوا إلى مقام الزهراء عليها السلام الشامخ في نوافل الليل، واعلموا أن التوسّل بها يقرّب من الله سبحانه، ويجعل من العبد أكثر معرفة به تبارك وتعالى. ولا تغفلوا أن تصلّوا عليها[٣] قبل أذان الصبح».

ولو من أجل دنياكم

وكان والدي المرحوم كثيراً ما يؤكّد على القيام في الليل،

---

١. ابن المرحوم الحاج الشيخ عباس القمي رحمه الله صاحب كتاب مفاتيح الجنان.

٢. المصدر نفسه، ص١٨٩.

٣. «اللـــهم صلِّ على فاطمةَ وأبيها، وبَعلها وبنيها، والسرِّ المستودع فيها، بعدد ما أحاط به علمك».

والاستيقاظ وقت السحر، فكان يقول:

«لو استيقظتَ لأداء نافلة الليل ووجدت أنَّك غير مستعدٍ نفسياً لأدائها، فلا ترجع إلى نومك، وابق صاحياً، بل تناول الشاي. فهذه الصحوة تهيء الإنسان للعبادة» .

وكان يقول أيضاً:

«إن الاستيقاظ في الليل يفيد في صحة الإنسان الجسمية والروحية».

وطالما قال من على منبره:

«استيقظوا في الأسحار ولو من أجل دنياكم. فإن النهوض في الأسحار يوسع في الرزق ويجلي الوجه ويحسّن الخلق»[1].

صورة الأستاذ

ذات يوم جاء إلى منـــزلنا في النجف بعض العلماء، وكان من بينهم الإمام الراحل، فما إن جلس الإمام حتى انتبه إلى أن صورة أستاذه المعلقة على الجدار صارت خلفه، فنهض من مكانه بسرعة وجلس في قبال الصورة. وقد انتبه الحاضرون جميعاً إلى مدى احترام الإمام لأستاذه[2].

---

١. عن البرنامج الاذاعي: سيماء العباقرة، ١٩٨٦م.

٢. پا به پای افتاب، مصدر سابق، ج٣، ص٢٥٨.

روحي فداه

يقول الشهيد مطهري:

«لم أسمع أبداً أن الإمام ذكر المرحوم الشاه آبادي إلاّ وقال: روحي فداه».

لقد كانت علاقة الإمام بالمرحوم والدي علاقة قلبية عميقة، وأذكر عندما كنا في النجف، وقد جرى ذكر أحدهم في حضور الإمام، وقد تصوَّر الإمام أنني أقيس والدي بذلك الرجل، فشعر الإمام بالألم وقال بحدّة:

«أنت لم تعرف والدك، لا يوجد أدنى مجال للمقارنة، لا يصح قياس أبيك بهذا وأمثاله مطلقاً».

الاستقلال الاقتصادي

ألَّف الشيخ الشاه آبادي كتابه «شذرات المعارف»[1] قبل أكثر من سبعين سنة، وجاء في مقدمة الكتاب: «يتصور بعضهم أن الأوروبيين خدم لنا، ويقولون: إنهم يكدحون ونحن نستخدم ما ينتجون دونما جهد. لكن هؤلاء غافلون عما نفعل بأنفسنا، فهم يشترون الصوف منا بعشر ريالات ليبيعوا المتر من القماش بخمسين ريالاً، ويشترون حمل القطن منا بخمسين توماناً ليبيعوا قماش القطن

---

١. المصدر نفسه.

عندنا المتر بخمسين توماناً. وهذا هو الاستغلال والاستعمار بعينه. علينا أن نكدح ونأكل ونلبس ما نصنعه بأيدينا ونسدّ حاجاتنا بأنفسنا، لا أن نكون في حاجة إليهم»[١].

هذا الخبيث يقضي على الدين

اغتنم والدي أيام العشرة الأولى من محرم الحرام التي مرت، في أثناء تحصّنه واعتصامه، في مرقد السيد عبد العظيم الحسني، فصار يرتقي المنبر ويخطب في كل ليلة، فكان يكرر في كل ليلة موضوعاً بذاته ثلاث مرات، في أول خطبته وفي وسطها وعند ختامها، فلما حلّت ليلة العاشر من المحرّم نادى وهو على المنبر:

«إلهي، أنت الشاهد عليّ، فما أقوله الآن وفي هذه الليلة أكرره للمرة الثلاثين، لقد ألقيت حجتي، إذ بعثت برسائل إلى علماء النجف وقم وأصفهان ومشهد، ومناطق أخرى ما وسعني ذلك، وها أنا ذا أقولها للمرة الأخيرة: إن رضا خان أجير للانكليز، وان مهمّته محو القرآن والإسلام، وأن تصدّيه لي ليس لأني أرتدي هذا الزي، إنّما لأنني ابلّغ رسالة القرآن. إنني أعلن للعالم صراحة أنكم إن لم تتحركوا، فان الخبيث سوف يقضي على الإسلام»[٢].

---

١. البرنامج الاذاعي: سيماء العباقرة، ١٩٨٦م.

٢. المصدر السابق.

وجرت دموع أبي دون إرادته

كنت في الصف الأول أو الثاني الابتدائي، وكانت عادة أسرتي أن نقرأ كل ليلة قبل النوم المعوذات الأربع وآية الكرسي، ثم نأوي إلى الفراش، وذات ليلة شتائية رأيت في منامي أني جالس وقد جاءت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ثم حملتني وربتت على كتفي وقالت: «بُني، إذا أردت ان تقرأ آية الكرسي فلا تقرأها خطأً، بل اقرأها بشكل صحيح».

فلما استيقظت لصلاة الصبح قلت لأخي: سأقرأ آية الكرسي وانتبه أنت لقراءتي أصحيح ما أقرأ أم لا؟ فلم يحتملني وانصرف عني، وفي هذه الأثناء سمع والدي صوتي، فقال: ما تريد؟ فلما هممت بأن أعيد له ما قلته، بادرني بقوله: اقرأ. فقرأتها. فقال: لِمَ تبتر آخرها يا بُني؟ وعند ذاك رويت له منامي، وإذا بدموعه تنهمر من عينيه واحتضنني وقبلني وقال:

«يا لها من رؤيا صادقة ان أمّك علوية، وهذا المنام يكشف عن أنكم يا أولادي أبناء فاطمة سلام الله عليها».

ثم قال عن آية الكرسي:

«اختلفوا في خاتمة آية الكرسي هل تنتهي بـــ «هم فيها خالدون» أو بـــ «وهو العلي العظيم»؟، والروايات في ذلك على طائفتين، ومنامك يؤيد الأولى»[1].

---

١. المصدر نفسه.

فبقي هذا الكلام راسخاً في ذهني، لكني لم أفهمه إلا حينما انخرطت في دراسة العلوم الدينية.

حبُّ فاطمة

إن حب أهل البيت عليهم السلام والإيمان بهم بمثابة معلم متألّق في حياة والدي، وبخاصَّة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وطالما كان يقول:

«إن أساس الدين حب فاطمة (سلام الله عليها)، وأساس الإسلام بغض أعداء فاطمة، فمن أحب فاطمة وأبغض عدوها فهو مسلم» .

ولذا كان يحب السادة من ذريتها عليها السلام حبّاً شديداً، وكان إذا استخار قال: «إلهي بعصمة الزهراء، بنور الزهراء، بشرف الزهراء»، وإذا تفاءل بالقرآن قال ذلك أيضاً[١].

الروح الأرق

ذهبت، ذات يوم، مع مجموعة من مسؤولي الدولة لزيارة الإمام، وكان من بينهم الشيخ الرفسنجاني الذي سأل الإمام في أثناء تلك الجلسة قائلاً: كيف رأيت المرحوم الشيخ الشاه آبادي؟ فقال الإمام: «لم أر في حياتي روحاً أرقّ من روح المرحوم الشاه آبادي»، ثم

---

١. المصدر نفسه.

أضاف: «لم يكن له نظير، لا في الفلسفة والعرفان وحسب، بل حتىٰ في السياسة»[١] .

تعريف الحق بلسان الحق

سمعت والدي يقول:

«اقرأوا الآيات الثلاث في أواخر سورة الحشر حتى تصبح مَلَكة في نفوسكم، فأول آثارها بعد الموت وفي الليلة الأولى في القبر أنه، عندما يحضر الملَكان [٢] من قبل الخالق تبارك وتعالى ويسألانك «مَن ربُّك؟» فقل: ﴿**هُوَ اللهُ الَّذي لا إلهَ إلاّ هُوَ عالمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحيمُ، هُوَ اللهُ الَّذي لا إلهَ إلاّ هُوَ الْمَلكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ، هُوَ اللهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْماءُ الْحُسْنى يُسَبِّحُ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ**﴾[٣] فإنك إن أجبتهم بهذا بهتا وحـــارا، لأنه تعريف للحق بلسان الحق، لا بلسان الخلق»[٤] .

---

١. المصدر نفسه.

٢. منكر ونكير.

٣. سورة الحشر: ٢٢ - ٢٤.

٤. سيماء العباقرة، مصدر سابق.

العودة من سامراء

بعد وفاة المرحوم الآخوند محمد كاظم الخراساني[١]، عزم والدي على مغادرة النجف والسفر إلى سامراء، وما أن مضى عام على بقائه في سامراء حتى طلبت منه والدته، التي كانت برفقته، العودة إلى إيران بسبب شوقها لأولادها، وكان والدي يعلم انه لو اطلع أصدقاؤه من العلماء على نيته، لاعترضوا عليه وحاولوا منعه، ومن هنا قرر أن يبقي أمر عودته إلى إيران سرّاً، كي يعود إلى العراق مرّة أخرى بعد أن يوصل والدته إلى إيران. وفي هذه الأثناء اطلع على الأمر المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي، فجاء إلى منـــزلنا. يقول والدي: إن الميرزا عندما دخل البيت رمى بعصاه في الإيوان ونادى: «ميرزا محمد علي! إنني لا أجيز لك ترك الحوزة والسفر إلى إيران[٢]، وحرام عليك أن تفعل ذلك».

فقال أبي للميرزا: «التكاليف منوطة بالقدرة»، وطلب منه ان لا يوقعه بين محذورين، ويصف ذلك بقوله: «فمن جهة كانت والدتي تضغط عليّ إن انا لم أذهب بها فلن ترضى عني، ومن جهة أخرى أمرني الميرزا بالبقاء في الحوزة وحرَّم عليّ مغادرتها، فسبب لي ذلك حرجاً شديداً» .

---

١. صاحب كتاب «كفاية الأصول»، المتوفى عام ١٣٣٩هـ.

٢. لم تكن الحوزة في قم آنذاك قد تأسست بعد.

فلما سمع الميرزا الشيرازي مني ذلك قال: «حسناً، لا بأس إذهب»[1].

عندما يصبح الشاه مجوسياً

قرَّر رضا خان، في إحدى سني حكمه، إيقاف صلاة الجماعة في المساجد، وقد كان يقام في المسجد الجامع آنذاك عدة جماعات في آن واحد، فلم يحضر أئمة الجماعات ذلك اليوم كلٌّ لسبب، فأحدهم كان قد سافر، والآخر تمارض، وهكذا! أما الشيخ الشاه آبادي فقد أصر على الذهاب إلى المسجد الذي احتل فيه مكان المصلّين مجموعة من قوات القوزاق، وفي طريقه إلى المسجد اعترضه أحد مريديه قائلاً: لقد احتل القوزاق المسجد. فرد عليه الشيخ: حسناً ليفعل القوزاق ذلك! ولما دخل المسجد تقدم إليه رجل يرتدي بزة مدنية وقال له: ألا تدري بإيقاف الصلاة؟

ولم يكلف الشيخ نفسه أن يرفع إليه بصره، وقال له: اذهب وليأت من هو أكبر منك.

فقال: أنا الأكبر.

قال الشيخ: ألن يعترض غيرك بعد ذلك إن أنا تحدثت معك.

قال: كلا.

---

١. سيماء العباقرة، مصدر سابق. يبدو أن المرحوم الشاه آبادي كان عازماً في حينه على الرجوع إلى العراق، لكنه لم يستطع ذلك لعدة أسباب.

قال الشيخ: ما هذا المكان؟

قال: طهران.

قال: لا، أقصد هذا المكان الذي تقف فيه وأتحدث معك؟

قال: مسجد.

قال: ومَن أنا؟

قال: إمام الصلاة.

قال: والبلاد أية بلاد؟

قال: إيران.

قال: وما هو دين إيران؟

قال: الإسلام.

قال: والشاه على أي دين؟

ولأنه لم يستطع أن يقول ان الشاه ضد الإسلام والقرآن، فقال: مسلم.

فقال الشيخ: فمتى ما أصبح الشاه مجوسياً، وأعلن كفره، أو قال: إني يهودي أو نصراني، ورفع ناقوساً على منارة هذا المسجد، فسأقوم أنا إمام المصلين بترك هذا المكان وأذهب إلى مسجد المسلمين لأقيم الصلاة فيه. ولكن ما دام الناقوس لم يُدق هنا بعد، والشاه لم يعلن مجوسيته وكفره، فإني كإمام للصلاة أصلّي هنا».

قال هذا ودخل المصلّى[١]، ومع أن المسجد لم يكن فيه أحد من المصلين، فإنه وقف في المحراب للصلاة، فلما شاهده أحد المؤمنين يفعل ذلك هتف بالناس: «الصلاة، الصلاة». فلما رأى الناس ذلك اندفعوا ولم يستطع جنود القوزاق منعهم، فانسحبوا من دون أن يفعلوا شيئاً[٢].

العفة أساس الدين

كان رحمه الله يقول:

«إن هذا الحوذي الخبيث (يقصد به رضا خان) ينوي بفرضه السفور على النساء اجتثاث الإسلام من جذوره، وقد اختار ذلك لأنه وجد أن القضاء على الإسلام غير ممكن حتى لو قتل المئات من علمائه، أما فرض السفور فإنه سيؤدي إلى زوال العفة، إذن فهو يريد القضاء على الدين، لأن الدين قائم على العفة والحياء».

وقد اعترض رحمه الله على ذلك، وتوجَّه إلى مرقد السيد عبد العظيم واعتصم هناك مع بعض العلماء مدّة أحد عشر شهراً، وكان يخطب في الصحن ويهاجم النظام الحاكم الجائر.

---

١. المصلّى الذي عرف، في ما بعد، باسمه «مصلّى الشاه آبادي».

٢. المصدر نفسه.

ماذا يعني العزاء؟

في أحد أيام عاشوراء، وفي أثناء اعتصام المرحوم الشيخ، نصب الأهالي وخدام المرقد الخيام للعزاء، فاعترض عليهم الشيخ قائلا: ولماذا العزاء؟ قالوا: كي نقيم العزاء ونجمع بعض المبالغ لتأمين أُجرة القارئ ومصاريف الشاي لأننا لا نملك مالاً. فقال: أقيموا مجالس العزاء، وسأتولى أنا الخطابة مجاناً دون مقابل، وسأساعدكم بشراء السكر والشاي، فلا تأخذوا من الناس مالاً [١].

مات الآخوند الخراساني شهيداً

كان المرحوم والدي يعتقد بأن الآخوند الخراساني - صاحب كتاب الكفاية - قد دُسّ إليه السم فمات شهيداً، فقد زاره أبي في الليلة التي سبقت يوم وفاته ورآه بصحة جيدة وسلامة تامة، ولأنه كان قد قرر إعلان الثورة على الحكومة التي جاءت في أعقاب الحركة الدستورية في إيران، لما وجده من الانحراف الذي أصاب هذه الحركة التي يعد هو من روادها والداعين إليها، حتى لقد قال الشهيد الشيخ فضل الله النوري: إن «المشروطة» قد أصبحت غير مشروعة،

١. كان مطلب خدّام المرقد أن يُقرأ ما يُناح به فقط، أمّا الشيخ الشاه آبادي فكان يؤكد على المحاضرات لبث الوعي بين الناس.

ولهذا قرر التحرك وأصدر أوامره بذلك، ولكن لما أصبح اليوم التالي انتشر خبر وفاته [١].

حبه لأستاذه الآخوند

وكان الشاه آبادي يحب أستاذه الآخوند حباً يصل حدّ العشق، حتى أنه لا يذكر اسمه في الشرح الذي كتبه على «الكفاية» إلاّ ويردفه بقوله: «روحي فداه».

يعلمنا التوحيد رغم صغرنا

يتجلّى التوحيد والعبادة في سلوك والدي، حتى أني لا أزال أتذكّر نماذج منها منذ أيام طفولتي. إذ كان يعلّمنا التوحيد رغم صغرنا، وربما تكلُّ أذهاننا عن إدراك بعض ما يقول، فلا يكلّ هو، عملاً بالحديث النبوي الشريف: «العِلمُ في الصِّغَرِ كالنَّقشِ في الحَجَرِ»، وهكذا كان حقاً، فكثير من الأشياء نقشت في قلوبنا مذ كنا صغاراً، وأدركناها حينما كبرنا، فكان لها في حياتنا الأثر الكبير [٢].

---

١. وقد أشارت أصابع الاتهام إلى الخادم الذي عيّن في ما بعد موظفاً في السفارة البريطانية (المترجم).

٢. البرنامج الإذاعي: سيماء العباقرة، ١٩٨٦م.

كنت أبحث عن ضالتي

في لقائي بالإمام الراحل الذي جرى برفقة الشيخ هاشمي رفسنجاني تحدث ﷺ عن والدي، فقال:

«عندما كنت في الحوزة كان يراودني إحساس بأني أفقد شيئاً، فكنت لا أفتأ أبحث عن ضالتي، حتى اطّلع على وضعي الميرزا محمد صادق الشاه آبادي[1]. فالتقى بي ذات يوم في مدرسة الفيضية وقال لي: إن كنت لا تزال تطلب ضالتك فهي في تلك الحجرة. سألته: مَن تعني؟ فقال: الشيخ الشاه آبادي، إنه جالس هناك، وهو ضالتك التي تبحث عنها.

وعندما وصلت إلى الحجرة، وجدته جالساً مع المرحوم الحائري يتناقشان، وهناك إلى جانبهما عدد من الحضور يصغون إلى النقاش، وربما شارك أحدهم، فوقفت في زاوية أنتظر، فلما انتهى النقاش نهض المرحوم الشاه آبادي متوجهاً إلى منزله، فتبعته ورافقته في طريقه، ثم طلبت منه ونحن في الطريق أن يدرّسني الفلسفة، لكنه أبى. والناس في الطريق يحيونه أو يسألونه وكان يجيبهم بأجوبة لا تناسب مستوياتهم، فقلت له: إنّ أجوبتك تستعصي على أفهامهم، فلم تفعل ذلك؟ فقال: دعها تطرق أسماعهم.

حتى إذا وصلنا قريباً من منزله وافق على إعطائي دروساً في

---

١. أوردنا له بعض الذكريات أيضاً في الصفحات القادمة.

الفلسفة، فقلت له: أنا لا أريد الفلسفة، إن ضالّتي شيء آخر، أريد درساً في العرفان. فامتنع، حتى إذا وقف عند عتبة باب منـــزله قال للمجاملة: تفضل إلى البيت، فوافقت على الدخول كي أصل معه إلى نتيجة. وما إن دخلت المنـــزل حتى سيطر عليّ شعور بأني لا أستطيع التخلي عنه، فتوسلت إليه كثيراً حتى قبل، وعين لي ساعة من عصر كل يوم. وبهذا بدأت بتلمذتي عنده. وما مضى درسان أو ثلاثة حتى أحسست أني لا أقدر على الابتعاد عنه. في البدء كنت أحضر درسه في العرفان فقط، ثم صرت أشترك إلى جانب ذلك في درسه في الأخلاق الذي كان يلقيه في مسجد «عِشق علي» في ليالي الخميس بعد أن ينتهي من أداء الصلاة، بل صرت أتبعه أينما ذهب لأستمع إلى دروسه، وكنت أدوِّن جميع ما أسمعه منه سواء في دروسه العامة أم في درسه الخاص الذي كان يلقيه عليّ. وبهذا توطدت علاقتي بالشيخ شيئاً فشيئاً، ويمكنني القول: إنِّي لم أر في حياتي كلها روحاً أرقّ من روحه. لقد كان لديه تلامذة كثيرون، لكنهم لم يكونوا ملتزمين بحضور دروسه جميعها، فبعضهم يحضر ثلاثة أيام في الأسبوع، وبعض آخر لا يحضر إلا درساً واحداً كل اسبوع، أما أنا فقد واظبت على ملازمته طوال السبع سنوات التي مكث فيها بقُم. فتتلمذت عليه طوال تلك المدة وحضرت دروسه المختلفة لحين مجيئه إلى طهران، حيث بقيت أواصل دراستي في قم، ولم يتسنَّ لي أن أمضي كل الوقت معه، ما عدا أيام العطل، إذ كنت اغتنم كل عطلة تتخذها الحوزة، كالعشرة الأوَل من المحرم أو في شهر رمضان،

وأذهب إلى طهران لأحضر دروسه وأصغي إلى أحاديثه، سواء ما يعقد منها في بيته أم في المسجد، فألازمه ما دمت في طهران لا أفارقه ما أمكنني ذلك»[1].

أنا الذي يتكلم وليس المنبر!

وحدثني أحد العلماء الذين عادوا من النجف إلى طهران، وكان قد تتلمذ على يد الشاه آبادي زمناً، قال: ان الشاه آبادي وقف في إحدى الليالي على قدميه خطيباً في الآونة التي صادر نظام رضا خان المنبر من المسجد منعاً له من الحديث، وقال رداً على بعض مريديه الذين أرادوا ان يأتوا إليه بمنبر:

«أريد أن اثبت حميريّة هذا الحوذي، وذلك انه يتصور ان المنبر هو الذي يتحدث! فيما عليه أن يفهم أن الذي يتكلم هو أنا وليس المنبر».

ثلاث وصايا أخلاقية

روى لي أحد التجار، وكان من تلامذة الشيخ الشاه آبادي قال: «إن الشيخ خطب ذات ليلة وقال بألم: لماذا لا تبادرون (يقصد المحيطين به) للسير في الحياة المعنوية؟ ألا تريدون أن تصبحوا بشراً؟ وبعد أن انتهى من موعظته ذهبت إليه مع عدّة أفراد وقلنا له: نريد

---

١. پا به پای آفتاب، مصدر سابق، ج٣، ص٢٥٤.

أن نصبح بشراً، فماذا علينا أن نفعل؟ قال: سأعطيكم ثلاث وصايا، فإن عملتم بها ورأيتم آثارها فأتوني لنكمل المشوار.

كانت وصاياه الثلاث هي:

١. التزموا بأداء الصلاة في أوَّل وقتها. فإن سمعتم صوت الأذان أينما كنتم فاتركوا أعمالكم وأدوا الصلاة، ولتكن جماعة ما أمكنكم ذلك.

٢. أنصفوا الناس في بيعكم وكسبكم، واقنعوا بأقل الربح، واعدلوا في معاملاتكم، فلا تفرِّقوا بين قريب وغريب، ولا تميِّزوا بين حضري وقروي، وارضوا بالربح القليل.

٣. أدوا حقوق الله كل شهر، وإن كان لكم متسع شرعي في أدائها إلى نهاية العام.

كان ذلك في رجب، وقد عزمت على تنفيذ كل ما أوصى به، فواظبت على ذلك حتى قرب حلول شهر رمضان، وذات يوم وأنا في طريقي في سوق (باجنار) ارتفع الأذان، فحثثت الخطى إلى مسجد النائب، ووقفت أؤدي الصلاة جماعة خلف المرحوم السيد عباس آية الله زاده[1]، فكنت أرى في أثناء الصلاة إمام الجماعة يظهر حيناً ويختفي حيناً آخر، أراه في الركوع والسجود ثم يختفي في القراءة. فلما انتهت الصلاة تقدمت إليه وقلت: أين كنت في أثناء الصلاة؟!

---

١. ابن المرحوم آية الله فشاركي، وصهر المرحوم آية الله الميرزا أحمد الآشتياني.

لم أجدك. فدهش لقولي وتحيّر، ثم قال معذرة إلى الله وإليك، الحق أني عندما خرجت من البيت كنت مترعجاً، فكان ذهني يسرح أحياناً وراء مرارتي، ثم أثوب أحياناً أخرى إلى نفسي وانتبه فأعود إلى صلاتي.

كانت هذه أول مشاهدة حصلت لي، إذ انفتحت بصيرتي على أثر التزامي بوصايا الشيخ الشاه آبادي ولمدة شهرين ونصف فقط، ثم واصلت التزامي فجرت لي مشاهدات أخرى لا يمكن وصفها».

اللقاء!

أتذكر أنّ المرحوم صدر الكوبائي، وهو من علماء أصفهان وأساتذها الكبار آنذاك، كان على علاقة وطيدة مع والدي، وكان يراسله باستمرار.

إلاّ أن أبي لم يكن يحتفظ بأية رسالة تصله ويتلفها بمجرد قراءته لها، وصادف أن غفل يوماً عن رسالة فتركها ومضى إلى المسجد فوجودنا أن آية الله صدر الكوبائي كان قد كتب فيها عبارة: «لا تنسَ هذا الموضوع إذا حظيتَ باللقاء». فلما عاد والدي من الصّلاة أسرع إلى الرسالة والاضطراب بادٍ عليه ومزقها في الحال. عندها أدركنا أنه كان على اتصال مع إمام العصر عليه السلام، لكنه لا يبوح بذلك.

ليس معي إلاّ الحق

عادة ما كان عدد من المخبرين ورجال الشرطة – الذين كان يطلق عليهم آنذاك «مفتشين» – يدخلون المسجد ليراقبوا الشيخ وهو يخطب، فلما انتبه المرحوم الشاه آبادي إلى وجودهم خاطبهم بامتعاض شديد قائلاً:

«إن مجيئكم، ظهراً ومساءً، بهذه الطريقة أمر غير صحيح. فإنّ كنتم تطلبوني أو جئتم لاعتقالي فأتوا في غير هذا الوقت، فإنّ في المسجد الآن ما لا يقل عن مائة إلى مائة وخمسين شخصاً، فلو أردتم اعتقالي من دون أن يعلم بذلك أحد، فأتوني قبل أذان الصبح لأني أخرج من بيتيّ إلى المسجد وحيداً ليس معي أحد إلاّ الحق».

عندما كنا صغاراً

كان والدي، عندما كنا صغاراً، يدعونا لإقامة الصَّلاة جماعة، وكان رحمه الله يحب الأطفال كثيراً ويحاول أن يعزز العلاقة بين الطفل الصغير والله عز وجل ربّه ورب العالمين، فإذا طلب أحدنا شيئاً منه قال: بُني، لا تطلب منّي، بل اطلب من الله الذي خلقني وخلقك، وبيده كل شيء، اطلب منه. فعندما نلح عليه يلبِّي طلبنا بوصفه واسطة لله، فقد كان معتقداً حقاً بأن لا أمر إلا إليه سبحانه. وهذا الاعتقاد الراسخ هو الذي جعله يقارع الظلم والجور لا يخشى في ذلك أحداً.

نبوءة للمستقبل

رأيت، أيام كنت في النجف الأشرف، في عالم النوم أن حرباً ضروساً تدور رحاها في إيران، وتتركز أحداثها في إقليم خوزستان، ورأيت رؤوس النخيل فيها إما مقطوعة أو محترقة، وقد استشهد أحد أقاربي، وطال أمد الحرب كثيراً، وكان سيد الشهداء عليه السلام يقود هذه الحرب. وانتهت أخيراً بالنصر لإيران... رأيت تلك الرؤيا والإمام لم يكن قد نُفي إلى النجف بعد. فلما جاء إلى النجف منفياً حدَّثته بقصّة الرؤيا كاملة، فابتسم وقال: سوف يقع ذلك. فقلت له: وكيف؟! قال: سيتضح ذلك في ما بعد. فلما أصررت عليه قال: «سأقول لك شيئاً شريطة ألاّ تذكرة لأحد ما دمت حيّاً، عندما كنت في قم وكنت أدرس عند أبيك، كانت تربطني به علاقة قوية جداً، لدرجة أني كنت أقرب الناس إليه، فلم يكن يكتم عليّ سرّاً، فقال لي يوماً: إنك سوف تقود ثورة وتنتصر، وستقع حرب في خوزستان، يستشهد فيها واحد من أسرتي». ثم قال الإمام: «لا يزال الوقت مبكراً، سيقع بالتأكيد، ولكن ليس قريباً».

وتمرّ سنوات طويلة إلى أن حدثت الثورة، وعاد الإمام إلى إيران ظافراً، ووقعت الحرب، وقد نسيت قصّة الرؤيا بالكامل، وفي إحدى سفراتي إلى جبهات القتال في خوزستان أيام الحرب [العراقية الايرانية]، وقعت عيني فجأة على بساتين النخيل فرأيت رؤوس النخيل بعضها مقطوع وبعضها محروق، فعادت الرؤيا إلى ذاكرتي،

وبعد حوالى أربعة أعوام من بدء الحرب سقط أخي شهيداً [١].
فتذكّرت تأكيد الإمام الذي نقل عن والدي أن الرؤيا ستتحقق بتمامها[٢].

الشيخ محي الدين الأنواري

لم يعرف قدره أحد

عاش المرحوم الشيخ الشاه آبادي مجهولاً في قم، فلم يعرف قدره كثيرون، لقد كان عالماً كبيراً. فسلام على الإمام الذي اكتشفه آنذاك، ولم يكن قد تجاوز الثلاثين من عمره، فنهل من فيض علومه وأخلاقه.

لقد كان الشّاه آبادي بارعاً متخصِّصاً في الفقه والأصول والفلسفة والعرفان، يتميز في العرفان بشكل خاص، ولقد عبر عنه الإمام بقوله: إنِّي ما رأيت في حياتي روحاً أرق من روحه.

أجل لقد كان هذا الرجل من السمو في أخلاقه ما جعل الإمام يتأثر به تأثراً بليغاً[٣].

---

١. الشهيد الشيخ مهدي الشاه آبادي.

٢. پا به پای آفتاب، مصدر سابق، ج٣، ص٢٦٠.

٣. أستاذ زاده، الحوزة العلمية للشهيد الشاه آبادي، ص٦١.

تصدّى لرضا خان

لقد كان آية الله الشاه آبادي من الذين تصدّوا لمواجهة رضا خان بصلابة، وعندما أغلق النظام المساجد وصادر المنابر، لم يتوقف هو عن الوعظ والإرشاد قط[١].

ترك فراغا في حوزة سامراء

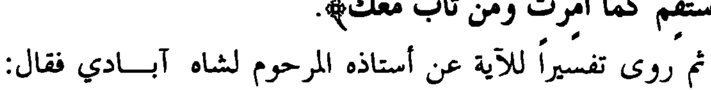
كان علماء العراق يعارضون مجيئه إلى إيران، حتى لقد عبر بعض أساتذته[٢] عن ذلك قائلاً: إنّ مغادرته العراق ستترك فراغاً علمياً في الحوزة[٣].

الشهيد الشيخ فضل الله المحلاتي



شيّبتني سورة هود

وعظ الإمام طلاّبه، ذات يوم، وذكر لهم حديثاً لرسول الله ﷺ يقول فيه: شيَّبَتْني سورةُ هُود، لمَكان قوله تعالى:



﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَكَ﴾.

ثم روى تفسيراً للآية عن أستاذه المرحوم لشاه آبـــادي فقال:

---

١. المصدر نفسه، ص٥٧.

٢. المرحوم آية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي.

٣. أستاذ زاده، مصدر سابق، ص٤٠.

لماذا يقول النبي ﷺ شيَّبتني سورة هود، في حين أن هذه العبارة وردت في سور أخرى أيضاً[1]؟ لأن هذه الآية قد أضيفت فيها جملة ﴿وَمَنْ تابَ مَعَكَ﴾، وهذا يعني أن النبي مسؤول عن إنقاذ الذين معه وهدايتهم، وأن الله عزّ وجل سائله يوم القيامة عن نفسه وعن أمته، فهو مسؤول ليس عن نفسه فحسب، بل وعن أمته أيضاً، أي لو أن إنساناً عصى، وكان النبي قادراً على هدايته ولم يفعل فهو شريك له في معصيته[2].

الشيخ محمد حسن القديري

يكتب إلى جانب جثمان نجله

روى الإمام عن أستاذه الشاه آبادي: إن صاحب موسوعة الجواهر كان له برنامج دقيق في تأليف هذا الكتاب الجليل، وكان يكتب كل ليلة قدراً منه. فتوفي ابنٌ له كان من أهل العلم ويحبه كثيراً، فتأخر تشييعه إلى غد، لذا وضع الجثمان في إحدى غرف الدار، فجلس صاحب الجواهر تلك الليلة إلى جانب جثمان

---

١. كما في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُم..﴾ الشورى: ١٥. (الناشر)

٢. برداشتهايي از سيره اى إمام خميني (لمحات من سيرة الإمام الخميني)، ج٥، ص ١٠٧. نقلاً عن: مجلة، پيام انقلاب (نداء الثورة)، العدد ٦٢.

ولده يواصل تأليف الكتاب لينجز منه ما ينجزه كل ليلة[١].

وبعد أن روى هذه القصة قال: أيها السادة عليكم ان تجتهدوا في طلب العلم وتنظّموا أوقاتكم، ليبارك الله في أعمالكم[٢].

الشيخ محمدي ري شهري

تربية تلاميذ من أهل الكرامة



لم يكن الشيخ رجب علي الخياط طالباً رسمياً لا في الحوزة ولا في الجامعة، ولكنه تتلمذ مدّة من الزمن لدى أساتذة من أهل العلم والمعرفة وفي طليعتهم الشيخ محمد علي الشاه آبادي استاذ الإمام الخميني ﷺ، يقول أحد تلامذته[٣]: كان رحمه الله يكرّر الذّكر في ركوعه وسجوده ثلاث مرّات كما كان يفعل أستاذه

---

١. وللشيخ الشاه آبادي قصة شبيهة بهذه، فعندما جاءوا إليه بخبر وفاة ابنه محمد جواد – الذي كان فاضلاً توفي على اثر إصابته بمرض السرطان – كان مشغولاً في التدريس، فسكت لحظات واسترجع، ثم استأنف الدرس.

٢. پا به پای آفتاب، ج٤، ص١٠١.

٣. حميد فرزام، أستاذ جامعي وعضو في مجمع اللغة والأدب الفارسي، تعرف على الشيخ رجب علي الخياط سنة ١٩٥٥.

المرحوم الشاه آبادي[1].

أيكم يقول صواباً؟

روى أحد تلامذة المرحوم رجب علي الخياط قال: كنت أمشي والشيخ الخياط برفقة الشيخ الشاه آبادي في ساحة تجريش (شمال طهران)، وكان الشيخ رجب علي الخياط يحب الشاه آبادي كثيراً، فبينا نحن نمشي سوية إذ صادفنا شخصاً توجه بالسؤال إلى المرحوم الشاه آبادي قائلاً: أيُّكما يقول صواباً، أنت أم هذا؟ (وأشار إلى الشيخ رجب علي).

قال الشيخ الشاه آبادي: أي شيء تعني؟ وماذا تريد؟

فأعاد الرجل سؤاله: أيُّكما يقول صواباً؟

قال الشيخ الشاه آبادي: أنا أدرّس والناس يتعلمون، أما هذا فيربّي ويخرِّج.

هذا الجواب مع ما يعكسه من مدى تواضع هذا العالم الربّاني والعارف والكامل، فهو يبيِّن أيضاً، سمو منـــزلة الشيخ رجب علي الخياط وشخصيَّته التربوية.

خليفة الله

روي أن الشيخ رجب علي الخياط سأل عدّة من العلماء عن سبب خلق الله الإنسان فلم يسمع جواباً مقنعاً، حتى سأل الشيخ

---

١. كيمياء المحبّة، محمدي ري شهري، ص٧٣ و ٢٢٤.

الشاه آبادي فأجاب: «إن الله خلق الإنسان ليكون خليفته: ﴿قَالَ إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾»[1].

الحاج محمد إسماعيل الدُّولابي



كان ذا حياء شديد

كان المرحوم الشاه آبادي ذا حياء شديد. لقد رأيت علماء كثيرين، ورافقته مدّة طويلة. جاء إلى منزلنا مرّات ومرّات، لقد كان مع علمه الوفير على حياء شديد، ولو استوقفه ساعة كاملة طفل يسأله لوقف يحدثه ويجيب عن أسئلته، ويمنعه الحياء أن يقطع حديثه ويستأنف طريقه[2].

العلم الذي لا يبلّ الصَّدى

كان المرحوم الشيخ الشاه آبادي يقول: لو كنا في غرفة زجاجية في قلب البحر، والماء من حولنا يتلاطم والسمك من حولنا، ما

---

١. المصدر نفسه، ص ١٢٩.

٢. مصباح الهدى، منشورات «سفينة»، ٢٠٠٠م، ص٣٧٤.

ارتوينا من ظمأ، وهكذا العلم الذي لم يَظهر معلومُه فإنَّه لا يبل الصدى، أما لو ثقب الجدار الزجاجي بقدر رأس الإبرة لارتوى الجميع من ذلك الثقب الصغير.

فالعلم الذي يُظهر جميع الأشياء يحتاج إلى قدر رأس الابرة من الحب كي يروي الإنسان، أما لو انكسر الزجاج فنور على نور، لأن كل من في الغرفة سيفنى في وجود الله المطلق(١).

لم أجد أفضل من علي عليه السلام

قال الشيخ الشاه آبادي، ذات مرّة: إنّ أحد علماء أهل السنَّة كتب كتاباً وصفه بأنه سيترل على الشيعة كالصاعقة، ومع هذا فقد ذكر في كتابه رواية عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في حجرها فافتقدته في نصف الليل، فبحثت عنه في سائر حجرات أمَّهات المؤمنين فلم تجده حتى وجدته على سطح حجرها حافياً، وقد مدّ كفيه إلى السماء، وكان يقسم على الله بحق علي: «إلهي بحق

---

١. المصدر نفسه، ص١٠٨. يحتاج هذا المثل إلى بعض التوضيح: فهو يريد أن يقول: إن الإنسان قد يحمل علماً كثيراً، لكنه لا يستفيد من علمه لأنه متعطش للحقيقة، أما إذا وجد نافذة يطل منها على الحقيقة، لارتوى بذلك عطشه حتى لو كانت تلك النافذة من الصغر بقدر ثقب الإبرة، وهذه النافذة ليست سوى محبة الله، ولو اتسع هذا الثقب بزيادة الحب حتى الفناء لزال الحجاب بتمامه ولانغمر الإنسان بنور الحقيقة وفني وجوده في وجود الله (الناشر).

علي»[1]، فقالت له: ألم تجد أفضل من علي تقسم على الله به فقال: والذي نفسي بيده، إنّي نظرت في السماء فلم أجد أفضل من علي، ونظرت في الأرض فلم أجد أفضل من علي، ونظرت في الشرق والغرب فلم أر أفضل من علي فأقسمت على الله بحقه[2].

---

١. لم نعثر على نص هذا الحديث، وقريب منه ما روي عن عبد الله بن مسعود قال: دخلت على رسول الله ﷺ فسلمت وقلت: يا رسول الله أرني الحق أنظر إليه بياناً. فقال: يا ابن مسعود لج المخدع فانظر ما ذا ترى. قال: فدخلت فإذا علي بن أبي طالب عليه السلام راكعاً وساجداً وهو يخشع في ركوعه وسجوده ويقول: «اللهم بحق نبيك محمد إلا ما غفرت للمذنبين من شيعتي»، فخرجت لأخبر رسول الله ﷺ بذلك فوجدته راكعاً وساجداً وهو يخشع في ركوعه وسجوده ويقول: «اللهم بحق علي وليك إلا ما غفرت للمذنبين من أمتي»، فأخذني الهلع، فأوجز ﷺ في صلاته وقال: يا ابن مسعود أكفراً بعد إيمان؟ فقلت: لا وعيشك يا رسول الله، غير أني نظرت إلى علي وهو يسأل الله تعالى بجاهك، ونظرت إليك وأنت تسأل الله تعالى بجاهه، فلا أعلم أيّكما أوجه عند الله تعالى من الآخر. فقال: «يا ابن مسعود، إن الله تعالى خلقني وخلق علياً والحسن والحسين من نور قدسه،... ، يا ابن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول الله عز و جل لي ولعلي: أدخلا الجنة من أحببتما وألقيا في النار من أبغضتما. والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾.» فقلت: يا رسول الله من الكفّار العنيد؟ قال: «الكفار من كفر بنبوتي، والعنيد من عاند علي بن أبي طالب». بحار الانوار، ج٧٣، ص٣٦.

٢. المصدر نفسه، ص٢٨٩.

نفحة حسينية

عندما عدت إلى إيران زارني في بيتي اثنان من السادة للتهنئة على زيارة العتبات المقدسة، فأدخلتهما إلى غرفة الضيوف، وذهبت أحضر شيئاً أقدِّمه لهما، فلما عدت إلى الغرفة أزيحت الحجب عن عيني فجأة فتسمّرتُ عند الباب عشرين دقيقة، ورأيت نفسي فوق ضريح الحسين عليه السلام، وقد ألقي في روعي أن أحصل على كل طلبة أطلبها من الآن فصاعداً، وللحظة انتبهت إلى الضيفين، وأحدهما يقول للآخر: انه في جذبة. وهكذا استمرت مشاهداتي منذ تلك اللحظة.

ومنذ ذلك الوقت، تحولت هذه الغرفة إلى محل لإقامة العزاء على سيد الشهداء عليه السلام مدّة ثلاثين سنة، فكان من يأتي إلى هنا يبكي من دون ان تقرأ المصيبة أمامه. وجاء إلى هنا علماء كبار أيضاً كالمرحوم أغاجان الزنجاني والمرحوم الشيخ محمد بافقي والمرحوم الشاه آبادي من دون أن أطلب من أحدهم المجيء بل كانوا يأتون حباً وتبرُّكاً.

كانوا أولياء الله الصالحين

وبعد تلك المكاشفة، وفّقني الله لمرافقة أربعة من العلماء كان لهم الأثر الكبير في حياتي وكان كلما غاب أحدهم تسلّمني آخر، أولهم السيد محمد الشريف الشيرازي، حيث رافقته حتى وفاته، فلما توفي حملنا جنازته إلى مرقد السيد عبد العظيم الحسني فصلى عليه الشيخ

محمد البافقي، فعندما رأيت الشيخ يصلي على أستاذي وكان أصبح منه وجهاً انجذبت إليه، فتركت الجنازة وتبعته إلى بيته، فارتبطت بالشيخ البافقي منذ ذلك الحين، ورافقته إلى أن سلمني بدوره إلى الشيخ غلام علي القمي الملقّب بـ «الطوماسي»، وكان هذا أصبح وجهاً من سابقه أيضاً، فلازمته حتى إذا ما تعرّفت على الشيخ الشاه آبادي أحببته وارتبطت به...

لقد كنت طوال تلك المدة، لا أرتبط بأكثر من واحد، ومن أبوح له بسري أفديه بنفسي وحياتي وأسرتي، وألتزم صحبته حتى يسلمني لمن بعده، فإذا وجدته أسمى من سلفه طفت حوله... [1].

بركات وجودهم

قبل أن تتحول هذه الدار إلى حسينية الزهراء، زارني فيها كثير من الأكابر منهم، الحاج هادي الابهري، والشيخ محمد تقي بافقي، والحاج اغاجان الزنجاني، والشيخ الشاه آبادي، وأمضوا فيها ليالي كثيرة، ولا يزال هذا المكان يفوح بعطرهم ويتنسم بركاتهم [2].

---

١. المصدر نفسه، ص١٥، ١٦.

٢. المصدر نفسه، ص٤٦٦.

الشيخ عبد الله الجوادي الآملي

عالم الغيب والعرفان في حياة الإمام

ثمة عقدان متميِّزان في عمر الإمام الراحل رحمه الله، عقد امتاز باستئناس الإمام بعالم الغيب والعرفان، وقد بدأ بوصول الشيخ الشاه آبادي إلى قم وتتلمذ الإمام على يديه، وذلك سنة ١٣٤٧ هـ، وعقد آخر امتاز باستئناسه بعالم الشهادة وقيادة الأمة، وقد بدأ بتأجج الثورة الإسلامية سنة ١٣٩٨ هـ[١].

الأستاذ علي الدوّاني

بُعد النظر

عندما كان رضا خان وزيراً للحرب، كان يتظاهر بممارسة الشعائر والطقوس الدينية، وقد كان الشهيد حسن المدرِّس يعدّه حينئذ مفيداً إذا ما أدى مهمَّاته بوصفه وزيراً للحرب و لم يتدخل في غير شأنه[٢]، يعني بذلك طموحه في التربع على الحكم من خلال

---

١. بنيان مرصوص، ص٩٤؛ الإمام الخميني.. ثورة العشق الإلهي، ترجمة كمال السيد.

٢. فقد قال الشهيد حسن المدرِّس في إحدى جلسات الدورة الرابعة لمجلس الشورى الوطني سنة ١٣٤٠هـ عن رضا خان الذي كان وزيراً للحرب في عهد أحمد =

دعوته لإقامة نظام جمهوري في إيران.

وفي تلك الآونة المبكرة، اكتشف المرحوم الشيخ الشاه آبادي خطر هذا الرجل؛ حيث خاطب المدرّس ذات مرّة محذراً إياه من رضا خان قائلاً: «إن هذا الصعلوك رجل خطِر، سواء في وزارة الحرب أم في أي موقع آخر، ولو قُدِّر له الإمساك بالسلطة فإن أول مَن سيقضي عليه هو أنت».

ولذا نرى أن الشيخ الشاه آبادي نهض لمواجهة رضا خان مبكراً، ولم يُخفِ موقفه، ولم يأل جهدا في توعية الناس بشأنه، ويصرح من دون مواربة قائلاً: «لا يخدعنَّكم مشي رضا خان حافياً في مواكب العزاء الحسيني، وتلطيخه رأسه ووجهه بالطين، وحمله الشموع بيده، ومجيئه مع مواكب العزاء إلى المساجد. فلو وجد هذا الرجل الخطِر فرصةً للإمساك بالحكم، فانه لن يرحم يومئذ صغيراً ولا كبيراً»[1].

أستاذ الإمام في العرفان وفي الجهاد

إن في طليعة من نهلوا من فيض العلم الربّاني الكبير للشَّيخ محمد

= شاه القاجاري: أرى أن لوزير الحرب منافع أساسية ومضار فرعية، لذا ينبغي السعي لإزالة مضارّه كي تعود منافعه على البلاد.» انظر: مدرس قهرمان آزادى (المدرّس بطل الحرية)، ص١٧٠.

١. البرنامج التلفزيوني: تاريخ إيران المعاصر، القناة الأولى، قسم التاريخ والثقافة والفن، بتاريخ ٢٧/ ٤/١ ٢٠٠م.

علي الشاه آبادي ﷺ هو السيد روح الله الخميني، وكان وقتها طالباً شاباً نشطاً متحمّساً، ونابغة معروفاً في الحوزة.

حسناً، نحن طلبة ونعرف أن الطالب الموهوب، يحتاج لكي يستوعب علماً من العلوم إلى أن ينفرد بدرس عند أستاذ لسنتين، فما بالك لو كان السيد روح الله قد أتم درسي الفقه والأصول ودرس الفلسفة عند الشيخ رفيعي والميرزا أكبر اليزدي، ثم يتفرغ سبع سنين ليدرس العرفان عند المرحوم الشيخ الشاه آبادي، ويكسب أقصى ما يمكن اكتسابه منه.

أما بخصوص جهاد الإمام الخميني، فأرى أنه يعود بالإضافة إلى موهبته الذاتية إلى عاملين أساسيين: الأول والده(1) الذي استشهد في

---

١. والــد الإمام الخميني هو الشهيد السيد مصطفى الخميني ﷺ الذي نهض ضد الظــلم، ووقف بوجه التجاوزات التي ترتكبها الحكومة والإقطاعيّون المتسلّطون عــلى المــناطق الممتدة بين أراك ومدينة خمين. ولد رحمه الله في ٢٩ رجب سنة ١٢٧٨ هـــ، وتلقى دراسته الابتدائية في خمين، ثم رحل طلباً للعلم إلى أصفهان، ومنها إلى النجف الأشرف، فأقام هناك حتى سنة ١٣١٢ هـــ؛ حيث حصل على إجازة الاجتهاد من أساتذته ليعود إلى خمين.

وفي ١٢ ذي القعــدة من سنة ١٣٢٠، استشهد في الطريق بين أراك وخمين على يــد اثنين من الإقطاعيين المتنفذين في تلك المناطق، وهما جعفر قُلي خان وميرزا قــلي سلطان اللذان اشتهرا بالظلم بين الناس، وعلى هذا يكون عمره ٤٢ سنة، أما عمر الإمام الخميني وقتها فقد كان أربعة أشهر و٢٢ يوماً فقط.

خمين في سبيل الدفاع عن المظلومين ومناهضة الإقطاعيين. وهذا بحد ذاته عامل مهم فجَّر في نفس الإمام الفقيد روح الإباء والثورة ضد الظلم. أما العامل الثاني فهو في رأيي تجربته مع أستاذه الشيخ الشاه آبادي الذي كان في طليعة من قاوم حكومة رضا خان، وكان وأبوه من قبله أيضاً يقيم حدود الله في أصفهان حتى أبعده ناصر الدين شاه إلى طهران، فواصل مناهضته لناصر الدين في طهران، وبعث إليه مرّة يقول: «كنت أظنك ناصر الدين، لكني عرفت الآن أنك كاسر الدين».

أليست هذه عوامل مهمة لإعداد الطالب المبرز للشاه آبادي لقيادة ثورة طويلة كالتي قادها الإمام؟! أعتقد أن الشيخ الشاه آبادي لم يعلّم الإمام الراحل العرفان فحسب، بل علمه الجهاد والثورة أيضاً[١].

---

١. البرنامج التلفزيوني الخاص بآية الله الشاه آبادي، القناة الاولى، ٢٥/٤/ ٢٠٠١.

المرحوم الشيخ عباس الطهراني[1]

لماذا أصبحت عالم دين؟

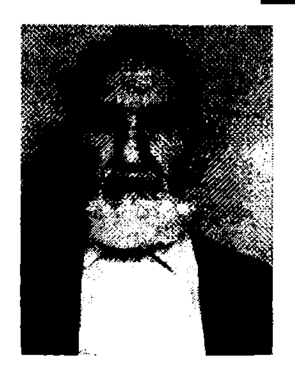


أتساءل، أحياناً، عن الدّافع الذي جعلني أنخرط في سلك علماء الدين مع أني لا أنتمي لأسرة عُلمائية، فيتوارد على ذهني منظر لطالما تكرر أمام بصري عندما كان الشيخ الشاه آبادي يأتي إلى منـــزلنا بـــدعوة من والدي وكيف كان والدي يبدي له احتراماً كبيراً ويقبل يده، فلربما كانت مشاهدتي لهذا الموقف، وأنا شاب يافع، حافزاً زرع فيَّ الرغبة في دراسة العلوم الدينية[2].

١. هو من تلامذة الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي مؤسس الحوزة العلمية بقـــم، وقد بلغ أعلى المراتب العلمية حتى ناهز المرجعية. يقول أحد تلامذته وهو الاستاذ محمد تقي مصباح اليزدي: «أنا كلما أصابتني ضائقة ذهبت إلى قـــبر المرحـــوم الشيخ عباس الطهراني فترتفع ضائقتي». نقلاً عن حوار أجري مع المرحوم السيد صادق شمس، كتاب: ناگفته هاى عارفان.

٢. ناگفته هاى عارفان (أسرار العرفاء)، محمد جواد نور محمدي، منشورات مهـــر خوبان، ط١/ ٢٠٠٠م، ص٩٢.

المرحوم الحاج محمد صادق الشاه آبادي[1]



سبيل التزكية

كان الشيخ الشاه آبادي ﵀ يبذل جهوداً استثنائية في العلم، إذ كان يسعى لتزكية الناس وإرشادهم للتقوى، فقد جاءه عدد من الأشخاص مرة وقالوا له: نريد الذهاب إلى مشهد لغرض التزكية، قال: «تريدون التزكية؟ أنا أرشدكم إلى سبيل التزكية، إن الذهاب إلى مشهد يستغرق شهراً، فلو ذهبتم في هذا الشهر لطلب العلم، وتعلم مسائل الدين والأخلاق، فهذا طريق التزكية».

مواجهته لبعض الممارسات الخاطئة

في أيّامه كان بعض النّاس يخرجون في مواكب العزاء على الحسين من المساجد حاملين العَلامات والسُّرُج، ويضربون على الطبول وينفخون في الأبواق في الشوارع والأزقة، وعندما رأى الشاه آبادي موكباً كهذا قال: أريد أن أشارككم في العزاء. فاحترموا وجوده بينهم واكتفَوا برفع العلامات، وكفُّوا عن ضرب الطبول

---

١. ابن المرحوم علي محمد الشريف (أخو الشيخ الشاه آبادي)، توفي سنة ١٩٨٨م.

والنفخ في الأبواق، لعلمهم أنه لا يجيز ذلك، وظلوا رافعين العلامات، وحاولوا إقناعه بالعودة بذريعة الخوف عليه من أن يصيبه التعب، لكنه أصر على مواصلة الطريق معهم، فأطالوا الطريق، إذ مضوا إلى بهارستان ومنها إلى ساحة شميران، ثم اتجهوا إلى تقاطع حسن آباد، فلم يفارقهم ولم يستجب لرجائهم بالعودة، فلما رأوا أن ذلك كله لم يجد معه استسلموا، إذ تعهدوا له بعدم استخدام الطبل والبوق أو أيّ شيء مما لا يجيزه.

حضور النّساء في المواكب

تعرَّضت المواكب في عهده إلى جملة من التحريفات، فكان وقوف النساء إلى جانب مواكب العزاء يدفع ببعض الشباب للقيام بحركات استعراضية بعيدة عن روح الحزن والعزاء، فكان الشيخ الشاه آبادي يبدي انزعاجه الشديد واستهجانه لهذه الظاهرة، وقال بشأنها في إحدى المناسبات: «ينبغي أن نتعلم كيفية إقامة العزاء من سيدنا السجاد عليه السلام، لقد كان الإمام السجاد بعد استشهاد والده في كربلاء يجلس ويبكي، هكذا يكون العزاء على سيد الشهداء».

حفل ميلاد رضا خان

لقد كان رحمه الله مجاهداً بكل معنى الكلمة، وكان جهاده خالصاً لوجه الله حقّاً. أتذكّر أن رضا خان أعلن يوم ١٥ آذار عيداً لميلاده، فعلّق المرحوم الشاه آبادي على ذلك قائلاً: «لا أدري في أي إسطبل

ولد هذا حتى يسجلوا لـــه تاريخ ميلاده؟ ففي الإسطبلات لا توجد سجلات مواليد».

شجاعة وهَيْبة

وعندما منع رضا خان الخطابة وإقامة العزاء، كان على من يريد إقامة العزاء الحسيني أن يفعل ذلك سراً وفي وقت الفجر، وأن يغلق باب منـــزله حتى لا يشعر به أحد، أما الشيخ ﵀ فكان يقيم مجلس العزاء في المسجد الجامع علناً، ويرتقي المنبر ويخطب من دون أن يخاف أحداً، حتى أن رئيس مخفر شرطة البازار كان يأتي إلى المسجد ويقف مقابل الباب ينصت إلى خطبته من دون أن يجرؤ على قول شيء، ثم يرجع من حيث أتى.

زواجه في طهران ورحلته إلى النّجف

تزوَّج الشيخ الشاه آبادي في طهران، واقترن ببنت المرحوم الحاج رضا (مطيعا)، وهو رجل تقي يعد من أقطاب زمانه، كان يحب الشيخ حباً كثيراً.

بعد أن تزوَّج الشيخ سافر إلى النَّجف الأشرف مصطحباً معه زوجه وأمه؛ وذلك في عام ١٣٢٢هـ، وكان عمره آنذاك ثلاثين عاماً، أتذكر أني كنت وقتها مقيماً مع والدي[1] في الكاظمية عندما

---

١. المرحوم آية الله الميرزا علي محمد الشريف، المتوفى سنة ١٣٧٣هـ.

وصل عميّ بسيارة صغيرة إلى الجانب الآخر من جسر المعظّم، وقد نثر موظفو الجمارك أغراضه في الطريق وكُوِّمت كتبه على قطعة من اللباد، فمكث عندنا أياماً ثم اصطحبناه إلى كربلاء، ثم استقر به المقام في النجف فبقي فيها سبع سنوات، ثم رحل إلى سامراء بعد أن توفي الآخوند الخراساني، وأقام فيها عاماً واحداً.

الثلوج

وفي عام ١٣٣٠هـ (١٩١١م) عاد الشيخ مع أسرته إلى إيران وكنت بصحبته، فاتجهنا إلى أصفهان، ثم منها إلى طهران، ولم تكن الطرق معبَّدة أو ممهدة آنئذ، فكنَّا مجبرين على السَّير بين الجبال، لأن الثلوج تغطي الطرق والمعابر، وقد أدركنا التعب ذات ليلة فتوقفنا وكدنا نموت من البرد الشديد والجليد، لولا أن الله تداركنا برحمته، إذ هبّ بعض القرويين لنجدتنا، وأخذونا فجلسنا حول التنور نتدفأ، وهكذا نجونا من الموت.

هذا ما كنت تبغي

عندما عدت إلى إيران، ذهبت إلى قم بغرض الحضور في درس الشيخ عبد الكريم الحائري، وبعد سنوات وصلتني رسالة من الشيخ الشاه آبادي يطلب مني أن أستأجر له منـــزلاً، فاستأجرت له بيتاً في محلّة «عشق علي»؛ حيث حل فيه الشيخ الشاه آبادي، وذلك سنة ١٣٤٧هـ، وما إن وصل حتى بدأ تدريسه في المحلّة نفسها.

في هذه المحلّة أيضاً تتلمذ الإمام الخميني على يديه، حيث أرشدت الإمام إليه، وقلت له: إنّ من تبحث عنه قد جاء إلى قم.

في مسجد سراج

وعندما عاد الشيخ الشاه آبادي من العراق إلى طهران، استأجر له بعض مريديه بيتاً كبيراً بمبلغ ٨ تومانات في شارع اكباتان (شارع ملّت) بالقرب من مسجد سراج[1]. وقد ابتدأ الشيخ يقيم صلاة الجماعة في بيته إلى أن طلب منه أهل المحلّة إمامة المصلّين في مسجد سراج، فبقي فيه إلى أن رحل إلى قم[2]، ولم يعد إليه بعد عودته إلى

١. اسم هذا المسجد سراج كوچك (سراج الصغير)، وهو يختلف عن مسجد سراج الملك الذي وردت قصة إنشائه في صفحات سابقة.

٢. جدير بالذكر أن لقب الشاه آبادي اكتسبه الشيخ من اسم الشارع الذي يقع فيه مسجد سراج كوجك، والذي يسمى حالياً باسم (شارع جمهوري إسلامي)، وقد كان يلقب بالنجفي قبل مجيئه إلى طهران (عندما كان في العراق) وبعد ذلك بمدة قليلة. وينبغي التنويه إلى أن إقامة الشاه آبادي في طهران توزعت على ثلاث مراحل: الأولى وهي مرحلة طفولته وشبابه، والتي دامت ١٦ سنة (١٣٠٤ – ١٣٢٠هـ)، والثانية استمرت منذ مجيئه من العراق وحتى ذهابه إلى قم والتي دامت ١٧ سنة (١٣٣٠ – ١٣٤٧هـ)، والثالثة استمرت منذ رجوعه من قم إلى آخر عمره الشريف ودامت ١٥ سنة (١٣٥٤ – ١٣٦٩هـ)، وبهذا يكون مجموع مدة إقامته في طهران ٤٨ سنة. وقد تميزت المرحلة الاخيرة بمواجهته لنظام الشاه حتى لقد عبر الشيخ آغا بزرك الطهراني عنه بقوله: «وكان قائماً بوظائف الشرع».

طهران ثانية، إذ أخذ يؤمّ المصلين في مسجد أمين الدولة الواقع في سوق (جهل تن) لسنتين، ثم انتقل منه إلى المسجد الجامع الذي بقي فيه إلى آخر حياته[1].

جاذبية الاستاذ

تعلّق الإمام الراحل بأستاذه الشيخ الشاه آبادي أيام كان طالباً تعلُّقاً جعله لا يفارق درسه في العرفان أبداً؛ وذلك على خلاف سائر تلامذة الشيخ الذين كانوا يحضرون دروسه أحياناً ويغيبون عنها أحياناً أخرى. وقد لازم الإمام الشيخ كما لو كان ابنه، فكان يقضي بعض شؤون بيت عمي حتى كأنه واحد من أهله، فلو طلب مني عمي مثلاً أن أحضر خبزاً، سبقني هو لإحضاره[2].

---

١. كل ما نقلناه إلى هنا عن المرحوم الميرزا محمد صادق الشاه آبادي مأخوذ من مقابلة أجريت معه عام ١٩٨٥م.

٢. پا به پای آفتاب، مصدر سابق، ج٣، ص٢٥٠.

الحاج حسين علي رضائي[(١)]

ليالي القدر

كان المرحوم الشيخ الشاه آبادي يهتم كثيراً بإحياء ليالي القدر المباركة، وعندما تحل تلك الليالي المباركة يمتلئ المسجد بالمؤمنين الذين يأتون لمشاركة الشيخ عبادته في تلك الليالي، لأنه كان يقوم بنفسه بقراءة الدعاء والوعظ. حتى اننا كنا نشعر، وهو يقرأ الدعاء أو يعظ، أن أبواب المسجد وجدرانه تشاركنا البكاء أيضاً.

أيها الناس تحرّروا من أسر الدنيا!

لم تكن في زمانه مكبّرات صوت، فكان يجهر بصوته، وطالما سمعته يهتف بصوت جهوري: «أيها الناس، حرّروا أنفسكم من أسر الدنيا وأغلالها!».

شعبيته وأخلاقه

وممّا تميزت به شخصيته تحلّيه بمكارم الأخلاق وشعبيته ومعاملة الناس بالحسنى، وهذا ما جعل الكثيرين يطيعونه ويحترمونه ويجلّونه،

---

١. مـــا ورد هـــا عن الحاج حسين علي رضائي مأخوذ من مقابلة أجريت معه في مصلّى الشاه آبادي (في المسجد الجامع)، في عام ٢٠٠١م.

فتجد في أتباعه ومريديه الذين يتتلمذون عنده ويحضرون درسه، العالم والكاسب والتاجر والغني والفقير.

الحاج محسن اللبّاني

مناجاة العارفين

كنت أقوم بدور المكبّر في المسجد في أثناء إقامته الصلاة؛ وذلك قبل ثلاثة أعوام من وفاته رحمه الله، فطالما رأيته وهو يرفع رأسه من السجود والدموع تسيل من عينيه، وقد أحاطت وجهه هالة من النور العجيب.

وفي ليالي الجمعة، كان يقرأ دعاء كميل بصوت مضمخ بالخشوع والحب والعرفان الالهي.. ولا أنسى كيف كنت أرافقه إلى منـــزله بعد أداء صلاة العشاء حاملاً بيدي الفانوس لأضيء له الطريق، إذ لم تكن يومئذ كهرباء[1].

---

١. مقابلة وحوار أجري معه في حزيران ٢٠٠١م.

الدكتور أبو القاسم كرجي[1]

كان المرحوم يمضي إلى المسجد ماشياً؛ وذلك قبل طلوع الفجر، حيث يقف منتظراً عند باب المسجد إلى أن يرتفع الأذان، فيأتي خادم المسجد لفتح الأبواب. وعندما يعود بعد صلاة الصبح إلى منزله آتي إليه مع الشيخ عبد الكريم حق شناس، حيث كنت أسكن هناك آنئذ، فنقرأ عنده المنطق من منظومة الملا هادي السبزواري، التي كان يلقيها علينا عن ظهر قلب[2].

---

١. ولد سنة ١٩٢١م، درس الفقه والأصول عند الشيخ محمد رضا التنكابني والسيد أبو القاسم الخوئي، عمل أستاذاً في جامعة طهران، وانتخب سنة ١٩٩٠ استاذاً أول، ثم انتخب عام ١٩٩١ أستاذا أنموذجياً في البلد، وحاز عام ١٩٩٦ على وسام «العلم» من الدرجة الأولى في مراسم تكريمية رعاها رئيس الجمهورية، واختير كتابان له في عام ١٩٨٣، كما عُدَّ التفسير الذي كتبه أفضل كتاب في العقد الأول للثورة.

٢. مقابلة مع الدكتور في حزيران ٢٠٠١م.

الحاج محمود أخوان[١]

دروس في المعارف

تعرفت إلى المرحوم الشاه آبادي في حدود عام ١٩٤٥ عندما كان والدي – المرحوم الحاج محمد حسن اخوان – يصطحبني معه إلى المسجد الجامع بازار، حيث كان لدي من العمر سبعة عشر عاماً، فكنت أتلو أدعية التعقيبات بعد صلاة الجماعة، كما بدأت منذ ذلك التاريخ حضور دروس الشيخ في «شذرات المعارف» التي كان يلقيها في منــــزله الواقع في محلة «تكية حمام خانم»[٢].

وكان يحضر تلك الدروس عدد غير قليل من الأشخاص، يحضرني منهم الحاج محمود فياض بخش والمرحوم الحاج أحمد ضرغام والمرحوم السيد علي أصغر آل أحمد [٣] الذي كان أكبر من الباقين سناً، وكان خطيبا متحدثاً، وقد صار أستاذاً في ما بعد، تخرج على يديه عدد من الطلاب.

---

١. أخذنا ذكريات الحاج محمود أخوان من المقابلة الــتي أجريــت معــه في تمــوز ٢٠٠١م. والحاج محمود أخوان من مواليد عام ١٩٢٥م.

٢. محلة تكية السيدة حمام.

٣. عم الكاتب الإيراني المعروف «جلال آل أحمد».

دعاء كميل

ومن ذكرياتي الجميلة في تلك الآونة، ليالي الجمعة وتلك الأجواء النورانية، عندما كان الشيخ رحمه الله يقرأ دعاء كميل، إذ كان يأتي كل ليلة جمعة قبل أذان الفجر بساعتين ليجلس في الظلام ويقرأ دعاء كميل عن ظهر قلب، وأتذكر مرّة أنني ومن أجل الاستماع لقراءته دعاء كميل بِتُّ مع بعض الأصدقاء في المسجد، ثم استيقظنا قبل الفجر بساعتين، كانت ليلة شتائية باردة والثلوج تتساقط، فتوضأنا وجلسنا خلف الشيخ نردد معه الدعاء.

ولا يغيب عن ذاكرتي أبداً كيف كانت أصوات البكاء تتعالى وسط المسجد حينما يصل الشيخ إلى أواخر الدعاء، ويبدأ بتلاوة آيات العذاب.

هنا وزارة الثقافة!

وأذكر أنه كان يوم تاسوعاء وعاشوراء، وقد جاء أزلام رضا خان إلى المسجد، لمنع مراسم العزاء بذريعة الحصول أولاً على إجازة من وزارة الثقافة. وهنا طلب الشيخ الشاه آبادي من السيد علي أصغر آل أحمد، الذي كان صوته رخيماً، أن يقرأ زيارة عاشوراء، فارتفعت لذلك أصوات الناس بالبكاء والنحيب وأقيم العزاء في كل السوق، عندها التفت الشيخ إلى رجال رضا خان وخاطبهم قائلاً: قولوا للحوذي الصعلوك (يعني رضا خان) أن لا يمنع إقامة الناس

للعزاء، وقولوا لوزير الثقافة أن يغلق أبواب وزارته.. فهنا وزارة ثقافتنا.

إنه رجل عظيم

عندما كانت المرجعية العامة يومئذ للسيد أبي الحسن الاصفهاني رحمه الله، سعى رضا خان لإضعاف حوزة النجف ومرجعية السيد أبي الحسن من خلال منع وصول الحقوق الشرعية إليه بكل الحيل والوسائل. وكانت فتوى السيد الأصفهاني تنص على انه ينبغي للمقلّد أن لا يؤدي الحقوق الشرعية إلاّ لمرجع تقليده، لذا كان أبي يبحث عن وسيلة لإيصال الحقوق الشرعية إلى السيد الأصفهاني، فتيسَّر له ذلك عن طريق لبنان، ومن لبنان سافر إلى العراق والتقى السيد الأصفهاني في النجف وسلّمها إليه.[١] ويروي والدي انه قال للسيد الاصفهاني: اننا كنا ندفع الحقوق الشرعية إلى الشيخ الشاه آبادي، فهل نستطيع الاستمرار على ذلك؟ فأجابني السيد الاصفهاني: «لا ينبغي لكم أن تعرقلوا عمل الشيخ، انه رجل عظيم ولسنا إزاءه إلا كقطرة في بحر».

---

١. كان الشيخ الشاه آبادي يفتي بوجوب صرف الحقوق الشرعية في المدينة نفسها، يعني ان الحقوق الشرعية التي تأتي من مدينة ما يجب صرفها في المدينة نفسها، لأن إخـــراج الحقوق الشرعية من تلك المدينة وصرفها في مدينة أخرى يعني إضعاف الحوزة الدينية في تلك المدينة، وبخاصّة طهران التي هي مركز البلاد.

الفصل الثاني

قبسـات عرفانيـة

قبسات من كتب الامام الخميني ﵀**:**

الاربعــون حديثاً، تفسير سورة الحمد، سرّ الصلاة، آداب الصلاة، شرح حديــث جــنود العقل والجهل، شرح دعاء السحر، تعليقة على مصباح الانس، تعليقة على شرح الفصوص وصحيفة النور.

" لم يكن الشيخ الشاه آبادي فقيهاً وعارفاً فحسب وانما كان مجاهداً بكل معنى الكلمة أيضاً"

الامام الخميني

في هذا الفصل سوف نتأمل في شذرات من معارف ذلك العارف الذي نهل منه الإمام الراحل، فتبلورت شخصيته أو أبعاد منها على يديه، وقد جمعنا هذه الشذرات من مؤلفات الإمام الراحل وكلماته المبثوثة في كتبه ..

وذكرنا إلى جانب هذه الشذرات كلمات الإمام من أجل إلقاء المزيد من الضوء عليها من خلال فهم الإمام لها، وهو فهم فريد نظراً لطبيعة الإمام والعلاقة الوطيدة بين المتحدِّث والمتلقي.

اغتنم شبابك!

فيا عزيزي، إن الوقوف منذ البداية دون تسرُّب المفاسد الأخلاقية أو العملية إلى مملكة ظاهرك وباطنك، أيسر بكثير من إخراجها بعد توغلها، لأن ذلك يتطلب الكثير من العناء والجهد. وإذا تسرَّبت إليك فإنك كلما أخّرت التصدي لإخراجها ازداد الجهد المطلوب منك، وضعفت قواك الداخلية [1].

---

١. يقول الإمام الخميني قدس سره في كتابه سرّ الصلاة: «إن من كبريات مكائد الشيطان والنفس الأمّارة أن تمنّي الشباب بوعود الصلاح والإصلاح عند حلول الشيخوخة، فتخسرهم شبابهم الذي يضيع بالغفلة، وأما الشّيوخ فتمنّيهم بطول العمر حتى اللحظات الاخيرة، وتصدّ الانسان ـ بوعودها الكاذبة ـ عن ذكر الله والاخلاص له، إلى ان يأتي الموت، وعندها تأخذ منه الإيمان إن لم تكن=

وقد قال شيخنا الجليل والعارف الكبير الشاه آبادي روحي فداه: «إن الإنسان في عز شبابه وقوة فتوته يكون أقدر على الوقوف بوجه المفاسد الأخلاقية وأفضل في أداء واجبه الإنساني. فلا تتركوا هذه القوى تضيع من أيديكم، ويستولي عليكم ضعف الشيخوخة، وعندئذ يصعب عليكم التوفيق في مساعيكم، وحتى لو أنكم وفّقتم، فإن ذلك الإصلاح سوف يتطلب منكم الكثير من المشقّة والتعب».

... فيا أيها الإنسان العاقل، إن ما يمكن أن تصلحه في شهر أو في سنة، مع التعب القليل الدنيوي، وبمحض اختيارك، واضعاً حداً لشقائك في الدنيا والآخرة، لا تهمله لكيلا يوردك موارد الهلكة[1].

الإستماع إلى الغناء

أيها العزيز، اجتهد لتصبح ذا عزم وإرادة، فإنك إذا رحلت من

- قد أخذته منه قبل ذلك الحين. فانهض للمجاهدة وأنت شاب تمتلك قوّة كبرى، واهرب من كل شيء ما عدا الحبيب»، سر الصلاة، الإمام الخميني، ترجمة ونشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ١٩٩٥، ص٣٩.

ويقول قدس سره في إحدى خطاباته أيضاً: «ان مرحلة الشباب أفضل فرصة لأن يهذب المرء نفسه فإن استغلها ظفر، وإلا ففي زمن الشيخوخة تتراجع إرادة الإنسان، ويقوى جنود إبليس في باطن الإنسان، فاحرص على شبابك»، صحيفة النور، ج١، ص١٢٥.

١. الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ترجمة السيد أحمد الفهري، دار الكتاب الإسلامي، قم، الحديث الخامس، ص١٣٣.

هذه الدنيا من دون أن يتحقق فيك العزم على ترك المحرَّمات، فأنت إنسان صوري، بلا لب، ولن تحشر في ذلك العالم (عالم الآخرة) على هيئة إنسان، لأن ذلك العالم هو محل كشف الباطن وظهور السريرة. إن الجرأة على ارتكاب المعاصي تجعل من الإنسان بلا إرادة، وتخطف من المرء جوهره الشريف، يقول أستاذنا المعظم: «لا شيء يسلب من المرء إرادته مثل الاصغاء إلى الغناء».

فيا أخي احترز من المعاصي، وهاجر صوب الحق تعالى، واجعل من ظاهرك إنساناً، وادخل في سلك أرباب الشريعة، واطلب في خلوتك من الله، تبارك وتعالى، أن يكون رفيقك نحو ذلك الهدف[1].

الشَّيطان ذلك الكلب المسعور

ينبغي أن نعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومكائدها، إنها مكائد دقيقة، وعلينا ألاَّ نعدّ أعمالنا خالصة، لو كنا من عباد الله المخلصين، فلماذا يتصرّف الشيطان بنا؟

لقد أقسم الشَّيطان، في حضرة الله، أن يغوي عباد الله إلاّ «عباد الله المخلصين»[2] لأنهم في حضرة الله.

---

١. المصدر نفسه، الحديث الأول، ص٢٥.

٢. ﴿قَالَ رَبِّ بِما أغوَيتَني لأُزَيِّننَّ لَهُم في الأرضِ ولأُغوِيَنَّهم أجمَعِينَ، إلاّ عِبادَكَ مِنهُمُ المُخلَصِينَ﴾ الحجر: ٤٠ و٤١.

إن كلب البيت لا ينبح على معارف صاحب البيت، والشيطان لا يدع من لا يعرف صاحب البيت أن يدخل البيت، فمن كان لـه معرفة بصاحب البيت أصبح بمأمن من شرّ الشيطان ذلك الكلب المسعور[١].

فإذا رأيت الشيطان ينبح في وجهك، فاعلم أن أعمالك ليست عن إخلاص، وليست للحق تعالى، ولو كنت مخلصاً فلماذا لا تجري ينابيع الحكمة على لسانك؟

لقد بلغت الأربعين وأنت تتصور أن أعمالك كانت قربة إلى الله، كيف وقد ورد في الحديث الشريف: «ما أخلصَ عبدٌ لله أربعين صباحاً إلاّ جرتْ ينابيعُ الحكمةِ من قلبه على لسانه»[٢]. فيا ويل من يدخل النار مع صلاته، ويا ويل من تكون صورة صدقته وزكاته وصلاته يوم القيامة أقبح ما تكون[٣].

استقامة الأمّة

ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ خطّ خطّاً مستقيماً

---

١. وكان الإمام الخميني، مع ما وصل إليه من درجات رفيعة، يدعو الله قائلاً: «إلهي ارحـــم حالـــنا.. انك تعلم انا لسنا رجال هذا الميدان.. فخذ بأيدينا وأنقذنا من براثن الشيطان وأهواء أنفسنا». المصدر نفسه.

٢. بحار الانوار، ج٦٧، ص٢٤٢، الإيمان والكفر ، باب الإخلاص، ح١٠.

٣. الأربعون حديثاً، مصدر سابق، الحديث الثاني، ص٥٢.

وخطوطاً أخرى حوله، ثم ذكر أن خطه هو ذاك الخط المستقيم[١].

وروي أنه قال: «شيّبتني سورة هود(لمكان هذه الآية)»[٢] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَكَ﴾[٣].

وكان العارف الكامل الشيخ الشاه آبادي روحي فداه يقول: «ورد هذا القول منه ﷺ لأن الله تعالى طلب منه ﷺ أيضاً استقامة الأمة، فهذه الآية الشريفة موجودة في سورة الشورى أيضاً، ولكنه ﷺ لم يقل بشأنها مثل ذلك القول، لأن ذيل هذه الآية غير موجود فيها (آية سورة الشورى)[٤]».

وعموماً فإن الإستقامة وعدم الخروج من حالة الوسطية هي من أشد الأمور على السالك[٥].

خليط مبتذل

إذا اعترى المجذوب حال، أو حصل له وضع آخر غير ما حصل للمجذوب الحقيقي والواصل واقعاً ــ حضرة الرسول الخاتم ﷺ ــ في هذه المكاشفة الروحية... فإنها من تدخلات الشيطان، وهي

---

١. قريـــب منه ما في كتاب: علم اليقين، محمد محسن الفيض الكاشاني، انتشارات بيدار، قم ١٤٠٠هـ، ج٢، ص٩٧١.

٢. علم اليقين، مصدر سابق، ج٢، ص٩٧١.

٣. هود: ١١٢.

٤. ﴿فلذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ الشورى: ١٥.

٥. سر الصلاة، مصدر سابق، ص١٤٦.

تكشف عن أن هناك شيئاً من «الأنانية والإنية» ما زال يرافق السالك في طريقه، فليجدّ ويجتهد لعلاج نفسه وهجران طريق الضلال.

وإذن فالصلاة التي ينسبها بعضهم إلى العرفاء يسمّونها «صلاة السكوت»، ويجعلونها وفق ترتيب خاص بتمثيل «ألف» الله حيال الوجه وبعدها «لا» ثم «هـ»، وبعدها بمجموع هذه الحروف وفق ترتيب معين على عدد الحضرات الخمس[1].

هذه الصلاة على فرض صحة النسبة هي نتاج جهل ذاك الذي ابتدع هذا الخليط المبتذل...

كان شيخنا العارف الكامل الشاه آبادي روحي فداه يقول: «إن جميع العبادات عبارة عن الإسراء بالثناء على الله جلّت عظمته إلى النشأة المُلكية للبدن.

فكما أن للعقل حظّاً من المعارف ومن الثناء على مقام الربوبية، وكما أن للقلب حظاً وللصدر حظاً من ذلك، فإن لمُلك البدن أيضاً

---

١. الحضرات الخمس هي مراتب الوجود عند العرفاء الشامخين، وهي:

المرتبة الاولى: مرتبة الغيب المغيَّب، ويسمى أيضاً بالغيب الأول والتعيُّن الأول.

المرتبة الثانية: مرتبة الغيب الثاني، ويسمى أيضاً التعين الثاني.

المرتبة الثالث: مرتبة الأرواح، وهي مرتبة ظهور الحقائق الكونية المجردة البسيطة.

المرتبة الرابعة: مرتبة عالم المثال، وهي مرتبة وجود الأشياء الكونية اللطيفة، وتسمى أيضاً عالم الملكوت.

المرتبة الخامسة: مرتبة عالم الأجسام، وهي الحضرة الجامعة للحضرات المتقدمة، وعالمها هو عالم الإنسان الجامع للعوالم كافة.

حظاً منها، وحظُّه عبارة عن هذه المناسك.

فالصوم ثناء على الحق بالصمدّية، وظهور الثناء عليه بالقدّوسية والسبّوحية، كما ان الصلاة ثناء على الذات المقدّسة بجميع الأسماء والصفات، حيث أن للصلاة مقام الأحدية الجمعية والجمعية الأحدية».

انتهى ما أفاده دام ظلّه.

يتضح من البيان السابق أن ما هو معروف بين بعض أهل التصوف من أن الصلاة هي وسيلة معراج السالك للوصول، فإذا وصل أصبح مستغنياً عن الرسوم، أمر باطل لا أساس له، ووهم ساذج أجوف يخالف مسلك أهل الله وأصحاب القلوب، صادر عن الجهل بمقامات أهل المعرفة وكمالات الأولياء، نعوذ بالله منه[1].

في تفسير سورة التوحيد

ملخص الكلام: إنه بناء على البيان المذكور يكون ضمير «هو» إشارة إلى مقام انقطعت عنه آمال العارفين وإيماءاتهم.. و«أحد» إشارة إلى تجلّي الأسماء الباطنية الغيبية، و«الله» إشارة إلى تجلّي الأسماء الظاهرية، وبهذه الأمور الثلاثة: (هو - الله - أحد) تتحصل الاعتبارات الأولية لحضرة الربوبية. وإن الأسماء الأربعة الأخرى: (الصمد - لم يلد - لم يولد - لم يكن له كفواً) التي يكون الصمد

---

١. سرّ الصلاة، مصدر سابق، ص٥٩ و٦٠.

جامعاً لها من الأسماء السلبية التنــــزيهية، التي تعدّ تبعاً للأسماء الثبوتية الجمالية.

يقول شيخنا العارف الكامل الشاه آبادي روحي فداه: «إن «هو» برهان على الأسماء والكلمات الست المذكورة عقيب هذه الكلمة المباركة (هو) في سورة التوحيد الشريفة. لأن الذات المقدسة حيث أنه يكون مطلقاً مثل «هو» الذي يعدّ إشارة إلى صرف الوجود يكون مستجمعاً لجميع كمالات الأسماء. فيكون «الله». وحيث أن صرف الوجود ببساطة حقيقته يكون جامعاً لكل الأوصاف والأسماء، من دون أن تثلم هذه الكثرة الاسميَّة لوحدة الذات المقدسة، كان أحداً، وحيث أنه لا ماهية لصرف الوجود كان صمداً. وحيث ان صرف الوجود لا ينتقص ولا يحصل من الغير ولا يتكرر، لم يكن والداً ولا مولوداً وليس له كفواً». انتهي[١].

متفرّد في هذا الميدان

إعلم أن المفسرين من العامّة والخاصّة، فسّروا كل على طريقته، كيفية كون الدين أو التوحيد من الفطرة، ولكننا في هذه الوريقات لا نجري بمجراهم وإنما نستفيد في هذا المقام من آراء الشيخ العارف الكامل (الشاه آبادي) المتفرِّد في هذا الميدان، ولو أن بعضها قد ورد بصورة الإشارة والرمز في بعض كتب المحققين من أهل المعارف،

---

١. الأربعون حديثاً، مصدر سابق، الحديث الاربعون، ص٥٩٣.

وبعضها الآخر مما خطر في فكري القاصر.

إعلم أن من الأمور الفطرية التي «فطر الناس عليها» هو النفور من النقص، ولذلك ينفر الإنسان من كل ناقص، فهو ينفر منه لأنه وجد فيه نقصاً وعيباً. إذن فالفطرة تنفر من النقص والعيب، كما الها تنجذب إلى الكمال. فالفطرة لابد من أن تتوجه إلى الواحد الأحد، لأن كل كثير ومركب ناقص. ولا تكون الكثرة من دون محدودية والمحدودية نقص. وكل ناقص مرغوب عنه من جانب الفطرة وليس بمرغوب فيه. إذن أمكن من هاتين الفطرتين: «فطرة حب الكمال» و«فطرة النفور من النقص» إثبات التوحيد. بل ان استجماع الله لجميع الكمالات، وخلو ذاته المقدسة من كل نقص، قد ثبت بالفطرة أيضاً؛ وسورة التوحيد المباركة التي تبين نَسَب الحق المتعال، وبحسب رأي شيخنا الجليل روحي فداه، إن الهوية المطلقة التي تتوجه إليها الفطرة والتي اشير إليها في صدر سورة التوحيد المباركة بكلمة «هو» المباركة، تعدّ برهاناً على الصفات الست المذكورة بعد ذلك[1].

حالة الوحي عند النبي آدم عليه السلام

ويقال: إن العارف بالله هو الذي يتعرف إلى الحق سبحانه بالمشاهدة الحضورية، وإن العالم بالله هو الذي ينتهي إلى الحق سبحانه من خلال البراهين الفلسفية.

---

١. المصدر نفسه، الحديث الحادي عشر، ص١٧٧.

وذهب بعضهم إلى أن الفارق بين العلم والعرفان من وجهين: الأوَّل من ناحية متعلّق كل منهما كما ذكرنا، متعلّق العلم كلي ومتعلّق المعرفة جزئي، والثاني أنه أخذ في المعرفة نسيان الشيء المعلوم سابقاً، في حين ان العلم هو ما لا يدركه الإنسان ابتداءً. وأما الشيء الذي كان معلوماً فغفل عنه ونسيه ثم أدركه ثانياً، يقال له انه قد عرفه، وإنما يقال للعارف عارفا، لأنه يتذكر الأكوان السالفة، والنشآت السابقة على كونه المُلكي ونشأته الطبيعية. وادعى بعض أهل السلوك (العرفاء) ان سبب التسمية هو تذكُّر عالم الذر، ويقول: إنَّه لو أزيح حجاب الطبيعة الباعث على الغفلة والنسيان عن أعين السالك، لتذكر العوالم السابقة...

يقول الشيخ العارف الكامل الشاه آبادي روحي فداه: «إن الحالة الروحية للنبي آدم عليه السلام كانت تجذبه نحو عالم الغيب والمقام المقدّس، وتبعده عن عالم ملكه وعالمه الطبيعي، ومثل هذه الحركة الجذبية كانت تبعث على سلب الآدمية عن آدم عليه السلام، فسلّط الحق المتعالي عليه الشيطان لكي ينتبه إلى شجرة الطبيعة، وينعطف عن الجذبة الملكوتية، وينصرف إلى عالم الملك والطبيعة»[1].

السير إلى الله

إعلم أن للسالك إلى الله، والمهاجر من بيت النفس المظلم إلى

---

١. المصدر نفسه، الحديث السابع والثلاثون، ص٥٥٩ - ٥٦٠.

كعبة الحقيقة سفراً روحانياً وعرفانياً، حيث يكون مبدأ هذه الرحلة بيت النفس الأنانية، ومنازل هذه الرحلة مراتب التعيّنات الأدناس والنَّفسيَّة والملكية والملكوتية التي عبر عنها بالحجب النورانية والظَّلاميَّة «إنَّ لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة» [١]، أي أنوار الوجود وظلمات التعيُّن أو أنوار الملكوت وظلمات الملك أو الظلمة الناتجة عن التعلقات النفسية والأنوار الطاهرة الباعثة عن التعلقات القلبية. وقد يعبر عن سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، بحجب سبعة بصورة مضغوطة، كما ورد عن الأئمة الأطهار عليهم السلام في التكبيرات الافتتاحية السبعة للصلاة، والتي تخرق كل تكبيرة حجاباً... يقول العارف المشهور عطار النيسابوري:

«حجاب عطار مدن العشق السبعة

ولا نزال نحن في منعطف زقاق واحد».

... وقد يعبر عن الحجب على أساس الحدود المتوسطة بألف منـــزل معروف لدى السالكين، وبمائة منـــزل حسب اعتبار آخر، وبعشرة منازل على ضوء اعتبار ثالث. وقرر الشيخ العارف الكامل الشاه آبادي (دام ظله) لكل منزل من منازل السائرين المائة بيوتاً عشرة ببيان بديع فيصير المجموع ألف بيت [٢].

---

١. بحار الانوار، كتاب السماء والعالم، ج٥٥، ص٤٥.

٢. وقد ألّف المرحوم الشاه آبادي كتابا بعنوان «منازل السالكين»، قسَّم الأخــلاق فيه إلى ألف منزل، لكن النسخة الوحيدة من هذا الكتاب فقدت للأسف.

وإن ابراهيم الخليل عليه السلام قد أوجز ذلك السفر الروحاني نحو الحق المتعالي الذي يقصه القرآن بمنازل ثلاثة: أحدهما الكوكب والآخر القمر والثالث الشمس[1].

الشهادة بالولاية

ورد في بعض الروايات غير المعتبرة أن يقال بعد الشهادة بالرسالة في الأذان: «أشهد أنّ عليّاً ولي الله مرّتين، وفي بعض الروايات: أشهد أن عليّاً أمير المؤمنين حقاً مرّتين، وفي بعض آخر محمد وآل محمد خير البرية، وقد عدّ الشيخ الصدوق رحمه الله هذه الروايات من موضوعات المفوضة وكذبها، والمشهور بين العلماء (رضوان الله عليهم) عدم الثقة بهذه الروايات، وعدّ بعض المحدثين هذه الشهادة جزءاً مستحباً من جهة التسامح في أدلّة السنن، وهو قول ليس ببعيد عن الصواب، وإن كان أداؤها بقصد القربة المطلقة أولى وأحوط...

وأما النكتة العرفانية، في كتابة هذه الكلمات على جميع الموجودات من العرش الأعلى إلى منتهى الأرضين، فهي أن حقيقة الخلافة والولاية هي ظهور الألوهية، وهي أصل الوجود وكماله، وكل موجود له حظ من الوجود له حظ من حقيقة الالوهية وظهورها الذي هو حقيقة الخلافة والولاية، واللطيفة الإلهية ثابتة على

---

١. الأربعون حديثاً، مصدر سابق، الحديث الرابع والثلاثون، ص٥٢٥ و٥٢٦.

ناصية جميع الكائنات، من عوالم الغيب إلى منتهى عالم الشهادة... ومن هذه الجهة، كان الشيخ العارف الشاه آبادي رحمه الله يقول: «إن الشهادة بالولاية منطوية في الشهادة بالرسالة، لأن الولاية هي باطن الرسالة».

ويقول الكاتب[١]: ان الشهادتين منطويتان جميعاً في الشهادة بالألوهية، وفي الشهادة بالرسالة أيضاً تنطوي الشهادتان الأخريان، كما تنطوي الشهادتان الأخريان في الشهادة بالولاية. والحمد لله أولاً وآخراً[٢].

نتيجة العبادة المنشودة

فيا أيُّها العزيز! فالآن ولك الفرصة والعمر العزيز الذي هو رأس مالك موجود، وطريق السلوك إلى الله مفتوح، وأبواب رحمة الحق مفتوحة، والسلامة وقوة الأعضاء مستقرّة، ودار زرع عالم الملك قائمة، فاصرف همتك، واعرف قدر هذه النعم الإلهية، واستفد منها واكتسب كمالات الروح والسعادة الأزلية والأبدية.. فنوّر أرض طبيعتك المظلمة بالنور الإلهي، ونوّر بنور الحق تعالى بصرك وسمعك ولسانك وسائر القوى الظاهرة والباطنة، وبدّل هذه الأرض الظلمانية

---

١. الإمام الخميني قدس سره.

٢. الآداب المعنوية للصلاة، الإمام الخميني، ترجمة السيد أحمد الفهري، دار الكتاب الإسلامي، قم، ص٢٦٤ و٢٦٥.

إلى أرض نورانية، بل إلى سماء عقلانية **﴿يومَ تَبدَّلُ الأرضُ غَيرَ الأرضِ﴾**(١)، **﴿وأشرَقَتِ الأرضُ بنورِ رَبِّها﴾**(٢). وإن لم تتبدل أرضك غير الأرض، ولم تتنور بنور الرب، فلك ظلمات ومشقّات وأنواع الوحشة والظلمة والذلّة، والعذاب... فإن عمدة المقصد والمقصود للأنبياء العظام، وتشريع الشرائع وتأسيس الأحكام، ونزول الكتب السماوية، وخصوصاً القرآن الشريف الجامع الذي صاحبه ومكاشفه نور الرسول الخاتم المطهّر ﷺ هي نشر التوحيد والمعارف الإلهية، وقطع جذور الكفر والشرك وعبادة إلهين اثنين، وسر التوحيد والتجريد سار وجار في جميع العبادات القلبية والقالبية. بل كان يقول الشيخ العارف الكامل الشاه آبادي روحي فداه: «إن العبادات إجراء(٣) التوحيد من باطن القلب إلى ملك البدن».

وبالجملة: النتيجة المطلوبة من العبادات هي تحصيل المعارف وتمكين التوحيد وسائر المعارف في القلب، وهذا المقصد لا يحصل إلاّ بأن يستوفي السالك الحظوظ القلبية للعبادات، ويعبر من الصورة والقالب إلى الحقيقة واللب (٤).

---

١. ابراهيم: ٤٨.

٢. الزمر: ٦٩.

٣. ورد في بعض النسخ أجزاء، وهو خطأ أوقع بعض الشارحين في تكلّف لا طائل من ورائه، والصحيح إجراء، أي ان العبادة تجعل التوحيد يسري من القلب إلى عالم الجسد.

٤. الآداب المعنوية للصلاة، مصدر سابق، ص٢٨٣ - ٢٨٤.

حضور القلب

... والآن نصرف القلم إلى تبيان مراتب حضور القلب الذي له مقامات كثيرة نوضح كليّاها على نحو الإجمال:

فالمرتبة الأولى لحضور القلب في باب العبادات هي «حضور القلب فيها على نحو الإجمال»، وهذه متيسّرة للجميع.

وكيفيتها أن يُفهم الانسانُ قلبَه أن باب العبادات هو باب الثناء على المعبود، ويجعل القلب منذ بداية العبادة إلى نهايتها ملتفتاً بصورة إجمالية إلى أنه مشتغل بالثناء على المعبود حاضراً لذلك.

وإن كان هو نفسه لا يدري أي ثناء هذا، وبأي شيء يثني على الذات المقدسة؟! وهل ان هذه العبادة هي ثناء ذاتي أو اسمي أو تقديسي أو تحميدي أو غير ذلك؟! فشأنه شأن شاعر ينشد قصيدة في مدح شخص ويُفهم طفلاً أنها في مدح فلان، ولكنه لا يعلم بماذا ومع ماذا مُدح الممدوح، أي أنه يعرف إجمالاً أنه يمدح، وإن كان لا يعلم تفصيل ذلك.

وهكذا هي حال تلاميذ «المدرسة الابتدائية» للمعارف المحمدية، فهم ينشدون تلك المدائح وآيات الثناء التي انكشفت للرسول الأكرم ﷺ بالكشف الكامل التام، وأُنزلت على قلبه الشريف بإفاضة الحق جل جلاله، ويتلونها في الحضرة المقدسة وإن كانوا لا يعرفون أي ثناء يتلون، وبماذا ولمن يمدحون!

ولكن مرتبة الكمال الأولى لعباداتهم هي أن يكون القلب حاضراً في العبادة والثناء على الحقّ بما أثنى به الحق تعالى على نفسه، ولهجت

به ألسنة خاصّة حضرته.

ولو كان يثني بلسان الأولياء فهو أفضل، إذ يخلو من شوائب الكذب والنفاق،[(١)] فهناك في العبادات ــ وخصوصاً الصلاة ــ أنواع من الثناء تتضمن دعاوى لا يستطيع القيام بها سوى الأولياء وخلّص الأصفياء، مثل قوله: «وَجَّهتُ وَجهِيَ للّذي فَطَرَ السَّموات وَالأرضَ»[(٢)]. ومثل قولـــه: «الحمدُ لله.. إيَّاكَ نَعبُدُ» وكذلك الحال مع الأوضاع، مثل رفع اليد في التكبيرات، وبعد السجدة وغيرها...

ونظائر ذلك كثير في الأدعية الشريفة الواردة من الناحية المقدسة للأئمة الأطهار عليهم السلام، فلا يتيسر لكل أحد الدعوة بما فيها مثل بعض فقرات دعاء كميل[(٣)].

---

١. فقد روي: «إن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام قال: ادعني بلسان لم تعصني بـــه، فقال: أنّى لي ذلك، فقال: ادعني بلسان غيرك». بحار الانوار، ج٩٠، ص ٣٩٠.

٢. الأنعام: ٧٩.

٣. فقد كتب الإمام الخميني رسالة عرفانية إلى السيدة فاطمة الطباطبائي (زوجة ابنه أحمـــد) قـــائلاً: «يقـــول أمير المؤمنين في دعاء كميل: (فهَبني، يا إلهي وسيدي ومـــولاي وربي، صبرتُ على عذابك فكيف أصبر على فراقك) فإني لم أتمكن أنا الأعمى القلب لحد الآن أن أقرأ بجد هذا المقطع وبعض المقاطع الأخرى من هذا الدعـــاء الشريف، لذا فإني أقرؤه على لسان علي عليه السلام من دون أن أفهم ما هو ذلـــك الشيء الذي يكون الصبر عليه أصعب من المكث في جهنم؟ ... إننا نحن عمـــاة القلوب لا نستطيع أن نفهم أو أن نصدق هذه المعاني التي هي فوق الفهم البشري».

وكان الشيخ الكامل الشاه آبادي روحي فداه يقول: «الأفضل أن يدعو الداعي، في هذه المقامات، بلسان مصادر الدعاء عليهم السلام»[١].

فطرة العشق

من الأمور التي تعين الإنسان، في هذا السلوك، والتي يجب عليه الانتباه لها، هي «الموازنة». فالموازنة هي أن يقارن الإنسان العاقل بين منافع كل واحدة من الأخلاق الفاسدة والملكات الرذيلة التي تنشأ عن الشهوة والغضب والوهم ومضارها، عندما تكون تحت تصرّف الشيطان، وبين منافع كل واحدة من الأخلاق الحسنة والفضائل النفسية، والملكات الفاضلة والتي هي وليدة تلك القوى الثلاث ومضارها، عندما تكون تحت تصرّف العقل والشرع، ليرى على أي واحدة منها يصح الإقدام ويحسن العمل؟

فمثلاً: إنَّ النَّفس ذات الشهوة مطلقة العنان التي ترسخت فيها (النفس) وأصبحت ملكة ثابتة لها، ونشأت عنها ملكات كثيرة في أزمنة متطاولة، هذه النفس لا تتورع عن أي فجور تطوله يدها، ولا تعرض عن أي مال يأتيها، من أي طريق كان، وترتكب كل ما يوافق رغبتها وهواها مهما كان، ولو استلزم ذلك كل أمر فاسد.

إن كل إنسان، مهما كان قوياً، ومهما حقق من آماله وأمانيه، فإنه رغم ذلك، لا يحصل حتى على واحد من الألف من آماله، بل إن

---

١. سرّ الصلاة، مصدر سابق، ص٦٥ - ٦٦.

تحقق الآمال ووصول أي شخص إلى أمانيه جميعها أمر مستحيل في هذا العالم، فإن هذا العالم هو «دار التزاحم»، وإن مواده تتمرد على الإرادة.

إذاً، فالإنسان هو، على الدوام، عاشق لما لا يملك ولما ليس في يده، وهذه فطرة أثبتها المشايخ العظام حكماء الإسلام، خصوصاً أستاذنا وشيخنا في المعارف الإلهية سماحة العارف الكامل ميرزا محمد علي الشاه آبادي، روحي فداه[١]، وأثبتوا بها الكثير من المعارف الإلهية [٢].

النفس القدسية

يا عزيزي! لا تقارن نفسك مع الأولياء، ولا تظن أنّ قلبك يضاهي قلوب الأنبياء وأهل المعارف، إن قلوبنا يغمرها غبار التعلّق بالدُّنيا وملذاتها، وإن انغماسنا في الشهوات يمنع قلوبنا من أن تكون مرآة لتجلّي الحق سبحانه ومحلاً لظهور المحبوب.

... إننا لا ندرك إلاّ المتع الحيوانية، ولهذا ننكر جميع المعارف. والأنكى من ذلك كله، هذا الإنكار الذي يفضي إلى غلق باب جميع المعارف، ويحجزنا عن السعي والطلب، ويجعلنا نقتنع بمستوى

---

١. انظر البرهان الذي استخدمه العارف الكامل الشاه آبادي رحمه الله لإثبات المعاد في الفصل الثالث من هذا الكتاب (إثبات المعاد بالفطرة، برهان فطرة العشق).

٢. الأربعون حديثاً، مصدر سابق، الحديث الأول، ص٣٥ و٣٦.

الحيوانية والبهيمية، ويحرمنا من عوالم الغيب والأنوار الإلهية. وإذا سمعنا حقيقة من لسان عارف هائم أو سالك حزين أو فيلسوف متألّه، أعرضنا عنها لعدم قدرة آذاننا على استماع تلك الحقيقة... ونتصدى فوراً للطعن فيه ولعنه وتكفيره وتفسيقه، ولا نحترز عن أي غيبة أو تهمة.

فترى أحدهم يشتري كتاباً ثم يوقفه ويشترط على من يستفيد منه أن يلعن المرحوم محسن الفيض الكاشاني[1] ــ صاحب كتب الأخبار والأخلاق والكلام والتفسير ــ يومياً مئة مرّة!!، وترى آخر يرمي صدر المتألّهين الذي هو قمة التوحيد بالزندقة، ولا يتورع عن إهانته أبداً!! ويتهمه بالتصوف رغم عدم ظهور أي رغبة منه في جميع ما كتبه نحو مذهب التصوف، ورغم تأليفه لكتاب: «كسر أصنام الجاهلية في الردّ على الصوفية».

وإني لواثق بأن لعنهم لا يزيدهم إلاّ رفعة ومقاماً، ولا يزيدنا إلاّ خذلاناً.

يقول شيخنا العارف الشاه آبادي روحي فداه: «لا تلعنوا شخصاً حتى الكافر الذي مات من دون أن تعرفوا على أي دين مات، إلاّ إذا أخبر ولي معصوم عن حاله بعد الموت، إذ من الممكن

١. محمد محسن، الملقب بالفيض الكاشاني (متوفى سنة ١٠٩١هـ): محدث فقيه عارف حكيم، تتلمذ على الشيخ البهائي والملا صدرا، وتتلمذ عليه العلامة محمد باقر المجلسي، صاحب كتاب بحار الانوار.

أنه أصبح مؤمناً لدى سكرات الموت، فليكن لعنكم عاماً: ألا لعنة الله على الكافرين».

فكم هو الفرق بين إنسان تتسامى نفسه إلى هذه الدرجة من القدسية، إذ تأبى لعن من مات على الكفر ظاهراً، لاحتمال أنه غدا مؤمنا في اللحظات الأخيرة من حياته، وآخر من أمثالنا – وإلى الله المشتكى – يرتقي المنبر مع أنه من أهل العلم والفضيلة، ويقول أمام العلماء والفضلاء مستغرباً: «إن فلاناً رغم انه فيلسوف، يتلو القرآن»[١]. وهذا الكلام يشبه ما إذا قلنا «فلان رغم كونه نبياً، يعتقد بالمبدأ والمعاد»[٢].

لب الإنسانية

أنت، يا طالب الحق والسالك إلى الله، إذا طوّعت طائر الخيال وقيَّدت شيطان الأوهام، وخلعت نعلي حب النساء والأولاد وسائر الشؤون، واستأنست بجذوة نار العشق لفطرة الله، وقلت: إني آنست ناراً[٣]، ووجدت نفسك خالياً من موانع السير، وهيّأت أسباب السفر، فقم من مكانك، واهجر هذا البيت المظلم للطبيعة والمعبر

---

١. كان اعتقاد سائد في عصر الإمام الراحل بأن الفلاسفة لا يقرأون القرآن.

٢. الأربعون حديثاً، مصدر سابق، الحديث الثامن والعشرون، ص٤١١ و٤١٢.

٣. إشارة إلى قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: **﴿إذ رأى ناراً، فقال لأهله امكثوا إني آنستُ ناراً﴾** طه: ١٠.

الضيق المظلم للدنيا، واقطع سلاسل الزمان وقيوده، وانج بنفسك من هذا السجن، واطلق طائر القدس إلى محفل الأنس.

تنادى من العرش العظيم ولا أدري   لماذا مقيم أنت في ذلك الفخ[١]

فقوّ عزمك واحكم إرادتك، فإن أول شرط للسلوك هو العزم، ومن دونه لا يمكن أن يسلك طريق ولا ينال كمال، والشيخ الأجل الشاه آبادي روحي فداه، كان يعبّر عنه بـــ «لبّ الإنسانية»[٢]. بل يمكن أن يقال: إنّ من إحدى الجهات المهمة للتقوى والتجنب عن المشتهيات النفسانية وترك أهوائها والرياضات الشرعية والعبادات والمناسك الإلهية تقوية العزم وانقهار القوى الملكية تحت ملكوت النفس كما ذكر[٣].

طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى

وقال شيخنا العارف الشاه آبادي: إن رسول الله ﷺ، عندما

---

١. بيت الشعر للحافظ الشيرازي وأصله بالفارسية:

تو را ز كنگره عرش ميزنند صفير   ندانمت كه در اين دامگه چه افتاده است

٢. وللإمـــام الخمـــيني نظير هذا التعبير أيضاً، إذ يقول في كتابه (الأربعون حديثاً)، الحديـــث الأول، ص٢٥: «أيها العزيز، اجتهد لتصبح ذا عزم وإرادة، فإنك إذا رحلـــت من هذه الدنيا من دون أن يتحقق فيك العزم على ترك المحرمات، فأنت إنســـان صـــوري، بلا لب، ولن تحشر في ذلك العالم (عالم الآخرة) على هيئة إنسان، لأن ذلك العالم هو محل كشف الباطن وظهور السريرة».

٣. الآداب المعنوية للصلاة، مصدر سابق، ص١٠٤ - ١٠٥.

دعا الناس إلى رسالته، ولم يجد الإصغاء المطلوب والدخول في دين الله حسب المستوى المرغوب فيه، احتمل النقص في قيامه بالدعوة كما تجب، فانصرف إلى ترويض نفسه طوال عشرة أعوام حتى ورمت قدماه، فنزلت الآية الكريمة تخاطبه: ﴿**طه ما أنزَلنا عَليكَ القُرآنَ لتَشقَى**﴾[1] إنك طاهر وهادٍ، ولا عيب فيك ولا نقص، إنّما النقص في الناس و﴿**إنَّكَ لا تَهدي مَن أحبَبتَ**﴾ [2].

يجب أن تكون هذه الآية المباركة قدوة للناس، وبخاصَّة للعلماء الذين يريدون القيام بالدعوة إلى الله تعالى، حيث إن رسول الله مع طهارة قلبه وكماله التجأ إلى الترويض، وأتعب نفسه حتى نزلت الآية الشريفة من الحق المتعالي، ونحن رغم ثقل الخطايا والذنوب لم نفكر في معادنا ومآلنا، وكأننا نحمل صك الخلاص والبراءة من جهنم والأمان من العذاب، وهذا لا يكون إلا نتيجة أن حب الدنيا قد أصم آذاننا فلا نسمع كلمات الأولياء والأنبياء [3].

كما يُلقن الطّفل

إنَّ كلاًّ من أعمال الخير أو الشر له تأثير في النفس، فهو إمّا يجعلها تتوجه نحو الدنيا وزخارفها، ويحجبها عن الحق والحقيقة،

---

١. طه: ١ - ٢.

٢. القصص: ٥٦.

٣. الأربعون حديثاً، مصدر سابق، الحديث الحادي والعشرون، ص٣٢٥.

ويسلكها في سلك الحيوان والشيطان، أو يجعلها متوجهة نحو الآخرة، فيجعل القلب إلهياً، ويكشف له سُبحات الجلال والجمال، ويجعله ينخرط في سلك المقرَّبين في رحاب الله.

وهذه الأفعال العبادية والمناسك الإلهية، فضلاً عن أن لها صوراً غيبية بهية ملكوتية تشكل الجنّة الجسمانية، فهي تولّد في الروح ملكات وحالات تكون مبدأ للجنة المتوسطة والجنَّات الاسميَّة.

وهذا أحد أسرار تكرار الأذكار والأعمال، فعندما يكرر اللسان الذكر الإلهي، ينفتح تدريجياً لسان القلب أيضاً؛ ويصبح هو أيضاً ذاكراً مثلما أنّ تذكُّر القلب يجعل اللسان ذاكراً أيضاً.

وكان الشيخ العارف الكامل الشاه آبادي، روحي فداه، يقول: «يجب أن يكون الإنسان، وهو في حال الذكر، مثل الذي يلقّن الطفل الكلام لكي يتعلم التكلّم، فهكذا يجب أن يلقّن الإنسان قلبه».

ومادام الإنسان يردد الأذكار باللسان منشغلاً بتعليم القلب، فإن ظاهره يعين باطنه.

فإذا انفتح لسان «طفل» القلب كانت المعونة عندئذ من الباطن إلى الظاهر، مثلما أن الحال هي على هذه الصورة فيما يرتبط بتلقين الطفل، فعندما يلقّنه أحد الكلام ويجري الكلام على لسانه، يتولّد في الملقّن نشاط يزيل التعب السابق.

ففي البداية يكون المدد من المعلّم إلى الطفل، وفي النهاية يقوم الطفل بمساعدة المعلّم وإمداده.

ولو واظب الإنسان مدّة على هذه التمارين والإرادة في الصلاة والأذكار والأدعية، فإن النفس تعتاده، وتصبح الأعمال العبادية مثل سائر الأعمال المعتادة التي لا يحتاج حضور القلب فيها إلى تكلّف[1].

الوضوء بزة الجندي

إعلم أيها العزيز! انه مثلما يكون لهذا الجسد صحة ومرض، وعلاج ومعالج، فإن للنفس الإنسانية أيضاً صحة ومرضاً، وعلاجاً ومعالِجاً. إن صحة النفس وسلامتها هي الاعتدال في طريق الإنسانية، ومرضها سقمها هو الإعوجاج والانحراف عن طريق الإنسانية...

إن منـــزلة الأنبياء هي منزلة الأطبّاء المشفقين، الذين جاءوا بكل لطف ومحبة لمعالجة المرضى... كما أن التقوى في كل مرتبة من مراتبها بمثابة الوقاية من مضار الأمراض، ومن دون الحمية لا يمكن أن ينفع العلاج، ولا ان يتبدل المرض إلى الصحة.

إذاً، أيها العزيز! بعد أن عرفت أنَّ المرحلة مهمة جداً، ثابر عليها بدقة، فإذا أنت خطوت الخطوة الأولى وكانت صحيحة، وبنيت هذا الأساس قوياً، كان هناك أمل بوصولك إلى مقامات أخرى، وإلاَّ امتنع الوصول وصعبت النجاة.

وكان شيخنا العارف الجليل يقول: ان المثابرة على تلاوة الآيات

---

١. سر الصلاة، مصدر سابق، ص٨٠ و٨١.

الأخيرة من سورة الحشر الشريفة، من هذه الآية المباركة: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا اللهَ ولتَنظُرْ نَفسٌ ما قدَّمتْ لغَدٍ**﴾[١] إلى آخر السورة، مع تدبّر معانيها، بعد كل صلاة، وخصوصاً في أواخر الليل، حيث يصفو القلب، مؤثرة جداً في إصلاح النفس، وفي الوقاية من شر النفس الشيطان[٢]. وكان رحمه الله يوصي بدوام حال الوضوء قائلاً: «إن الضوء مثل بزّة الجندي»[٣].

منــــزل اليقظة

اعلم ان المنــــزل الأول من منازل الإنسانية هو منــــزل اليقظة كما يقول كبار أهل السلوك في بيانهم لمنازل السالكين، ولهذا المترل كما يقول الشيخ العظيم الشأن الشاه آبادي دام ظله بيوت عشرة، لسنا الآن بصدد تعدادها. ولكن ما يجب قوله هو: إن الإنسان ما لم ينتبه إلى أنه في سفر ولا بد من السير، وأن له غاية يجب الانطلاق إليها، وأن بلوغ المقصد ممكن، لما حصل له العزم والإرادة في الحركة...

---

١. الحشر: ١٨.

٢. ويوصي الإمام الخميني أيضاً ابنه السيد أحمد رحمه الله في رسالة كتبها إليــه بقولــه: «بني، واظب على قراءة سورة الحشر لأنها متضمنة لكنوز من المعارف والأمــور التربوية، وهي تستحق أن يصرف الإنسان عمره في التأمل والتفكر فيها، ليتزود منها ليوم معاده، ولا سيما آياتها الأخيرة من قوله تعالى: ﴿**يا أيُّها الذين آمنــوا اتَّقوا اللهَ ولتَنظُرْ نَفسٌ ما قدَّمتْ لغَدٍ واتقوا اللهَ إنَّ اللهَ خَبيرٌ بِما تَعمَلون**﴾».

٣. الأربعون حديثاً، مصدر سابق، الحديث الثاني عشر، ص ٢٠١ و٢٠٢.

ويجب أن نعرف أن من أهم أسباب الغفلة التي تؤدِّي إلى نسيان الغاية، ونسيان لزوم المسير، وإلى موت العزم والإرادة، هو أن يظن الإنسان أن في الوقت متسعاً للبدء بالسير، وأنه إن لم يشرع اليوم شرع غداً، وإذا لم يتحرك في هذا الشهر فسيتحرك في الشهر المقبل!!

فإن طول الأمل هذا وامتداد الرجاء وظن طول البقاء والأمل في الحياة وسعة والوقت، يمنع الإنسان من التفكير في المقصد الأساسي الذي هو الدار الآخرة[1].

لا تُخجلوا النبي!

جاء في القرآن الكريم في سورة هود: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَكَ**﴾[2]. وجاء في الحديث الشريف: إن النبي ﷺ قال: «شيَّبَتْني سورةُ هود»[3]، لمكان هذه الآية.

يقول الشيخ العارف الكامل الشاه آبادي روحي فداه: «هذا على الرُّغم من أن هذه الآية قد جاءت في سورة الشورى أيضاً، ولكن من دون ﴿**وَمَن تابَ مَعَكَ**﴾، إلاّ إنّ النبي ﷺ خص سورة هود بالذكر، والسبب أن الله تعالى طلب منه استقامة الأمَّة أيضاً، فكان يخشى أن لا يتحقق ذلك، وإلاّ فإنّه النبي بذاته كان أشدّ ما

---

١. المصدر نفسه، الحديث العاشر، ص١٦٩.

٢. هود: ١١٢.

٣. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ج١٢، ص٦٦.

يكون استقامة، بل لقد كان مثال العدل والاستقامة.

اذاً يا أخي! إذا كنت تعدّ نفسك من أتباع النبي ﷺ، وتريد أن تحقق هدفه، فاعمل على ان لا تضعه موضع الخجل بقبيح عملك وسوء فعلك. ترى لو فعل ابنك فعلاً قبيحا يتنافى مع شأنك، فكم سيكون ذلك مدعاةً لخجلك بين الناس، وسبباً في طأطأة رأسك أمامهم؟

فاعلم أن رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام، هما أبوا هذه الأمة بنص قول رسول الله ﷺ: «أنا وعليٌ أبَوا هذه الأمّة»[1].

فلو وقفنا في حضرة ربّ العالمين، يوم الحساب، وأمام نبينا وأئمتنا الطاهرين من آله، ولم يكن في كتاب أعمالنا سوى القبيح من الأعمال، فان ذلك سوف يصعب عليهم، ولسوف يشعرون بالخجل في حضرة الله والملائكة والأنبياء. وهذا هو الظلم العظيم الذي نرتكبه بحقهم، وإنها لمصيبة كبرى تحلّ بنا، ولا نعلم ما الذي سيفعله الله بنا؟[2].

تفسير عرفاني آخر لسورة التوحيد

إعلم أن سورة التوحيد الشريفة من جوامع الكلم كسائر القرآن يستفيد كل منه على طور، كما أن علماء الأدب والظاهر يرون أن

---

١. بحار الانوار، ج٣٦، ح١٢، ص١١.

٢. الأربعون حديثاً، مصدر سابق، الحديث العاشر، ص١٦٧.

«هو» ضمير الشأن، و«الله» عَلَم الذات، و«أحد» بمعنى الواحد أو مبالغة في الوحدة، يعني ان الله واحد، أو أنه لا شريك له في الألوهية، أو ليس كمثله شيء... و«الله الصمد» يعني انه سيد كريم، إليه مرجع الناس في الحوائج، أو أنه صمد بمعنى أنه لا جوف له، فلا يتولد منه شيء، ولا يتولد هو من شيء، وليس له أحد شبيهاً ونظيراً... وهذا تفسير بطريق العرف والعادة، وهو تفسير يختص بطائفة ولا ينافي أن يكون لها معنى أو معاني أدق..

فيمكن أن يكون للسورة المباركة لدى المتعمِّقين في آخر الزمان تفسير حكمي موافق للموازين الحكمية والبراهين الفلسفية، وهذا ما استفدته من الشيخ الجليل العارف الشاه آبادي: فـ «هو» إشارة إلى صرف الوجود والهوية المطلقة، وهو برهان على ستة براهين شامخة حكمية أثبتت في السورة المباركة للحق تعالى:

الأول: مقام الألوهية، وهو مقام استجماع جميع الكمالات، وأحدية جمع الجمال والجلال، فإنه قد ثبت في المقامات المناسبة من المسفورات الحكمية أن صرف الوجود والهوية المطلقة هو صرف الكمال.

الثاني: [مقام الأحدية]، وهو الإشارة إلى البساطة التامّة العقلية والخارجية والماهوية والوجودية، والتنزّه عن مطلق التركيبات العقلية...

الثالث: مقام الصمدية، وهو الإشارة إلى نفي الماهية...

الرابع: عدم انفصال شيء منه، لأن انفصال شيء عن شيء مستلزم للهيوليَّة، وهو ينافي الهوية المطلقة...

الخامس: عدم انفصاله عن شيء، وهذا أيضاً ينافي الهوية المطلقة...

السادس: عدم الكفء والمثل ونفي الشبيه، وهو ثابت ببرهان صرف الوجود أيضاً...

ولكل من هذه المطالب مقدمات وأصول تحتاج إلى مزيد تفصيل لا يتسع له هذا المقام [1].

حبُّ الدنيا عند الموت

إعلم أن ما تناله النفس من حظ في هذه الدنيا، يترك أثراً في القلب، وهو من تأثير المُلك والطبيعة، وهو السبب في تعلُّقه بالدنيا، وكلما ازداد التلذذ بالدنيا اشتد تأثر القلب وتعلقه بها وحبه لها، إلى أن يتجه القلب كلّياً نحو الدنيا وزخارفها، وهذا يبعث على الكثير من المفاسد. إن جميع خطايا الإنسان وابتلاءه بالمعاصي والسيئات سببها هو هذا الحب للدنيا والتعلق بها كما ورد الحديث الشريف: «رأسُ كلِّ خطيئة حب الدنيا»[2] [3].

---

١. الآداب المعنوية للصلاة، مصدر سابق، ص٤٧٥ - ٤٧٧.

٢. أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، ح١.

٣. يقول الامام الخميني في كتابه شرح حديث جنود العقل وجنود الجهل: «مثلنا ـ

وكان شيخنا العارف روحي فداه يقول: «إن من المفاسد الكبيرة لحب الدنيا هو أنه إذا انطبع على قلب الإنسان، وأنس بها بشدّة، انكشف له عند الموت أن الحق تعالى يفرّق بينه وبين محبوبه، ويفصل بينه وبين مطلوبه، فيغادر الدنيا ساخطاً مغتاظاً على ولي نعمته»[(١)].

إن هذا الكلام القاصم للظهر يجب أن يوقظ الإنسان أيّما إيقاظ للحفاظ على قلبه. فالعياذ بالله من إنسان يسخط على ولي نعمته، ومالك الملوك الحق، إذ ليس أحد يعرف صورة هذا السخط والعداء غير الله تعالى.

ويقول شيخنا المعظم أيضاً، دام ظله، عن أبيه المعظم[(٢)]: «إنه

= في هذه الدنيا مثل شجرة جذورها في الأرض، فكلما كانت فتية كان انتزاعها من الأرض أيسر وأسهل... ولكن إذا ما مرت السنون والأعوام وامتدت جذورها وضربت في أعماق الأرض، حتى أصبحت قوية مستحكمة في باطن الأرض، فلن يمكن انتزاعها حينئذ إلاّ بفأس».

١. وقد أورد الإمام الخميني شبيه هذا النص في كتابه شرح حديث جنود العقل والجهل، المقصد السادس، ص١٦٥.

٢. والده الميرزا محمد جواد الأصفهاني الحسين آبادي، (ولد ١٢٤٠ ، ت ١٣١٢ هـ)، كان من تلامذة صاحب الجواهر المبرزين، وزميلاً للشيخ الأنصاري في دراسته. ترك مؤلفات عديدة منها: «بساتين الرياحين» في الأصول، «كنوز الليالي» في الأصول أيضاً، «السراج الوهاج في شرح نتائج الأصول» في الفقه، «بحر البكاء» بالفارسية، «الرسالة الأحمدية»، «ترتيب خلاصة الأقوال». كما بلغ ثلاثة من أبنائه درجة الاجتهاد، هم كل من: =

كان خائفاً في أواخر عمره بسبب المحبّة التي كان يكنّها لأحد أولاده، لكنه بعد الانهماك في الرياضات النفسية مدّة تخلّص من ذلك الخوف، وانتقل إلى دار السرور مسروراً»، رضوان الله عليه [1].

لغة العرفاء

إن الشعراء والعرفاء وكذلك الفلاسفة لا يختلفون في القول، فهم يقولون شيئاً واحداً، وإنما يختلفون في التعبير، فالشعر لغة، ولحافظ لغته الخاصة، إنه يقول ذات الأشياء نفسها التي يقولونها، ولكن بلغة أخرى... فلا ينبغي حرمان الناس من هذه البركات.

يجب دعوة الناس إلى هذه المائدة الإلهية من قرآن وسنة ودعاء لكي ينال كل على سعته...

لا تقولوا: ها أنتم تعيدون هذه العبارات إلى الميدان، العرفاء ثانية؟! أجل لا بد من أن تعود.

كان المرحوم الشيخ الشاه آبادي، رحمه الله، يتحدّث بلغة

- ١- الميرزا أحمد المجتهد البيد آبادي (١٣٥٧ - ١٢٧٩هـ) ، الذي بلغ الاجتهاد قبل أن يبلغ سن البلوغ، وقد عبر عن ذلك أساتذته في إجازات الاجتهاد التي منحوه إيّاها كما في عبارة «وبلغ مجتهداً» أو «صار مجتهداً إذ كان مراهقاً».

٢- الميرزا علي محمد الشريف (١٢٩١ - ١٣٧٣هـ).

٣- الميرزا محمد علي الشاه آبادي (١٢٩٢ - ١٣٦٩هـ)

١. الأربعون حديثاً، مصدر سابق، الحديث السادس، ص١٢٣.

العرفاء للكسبة.. قلت له مرّة: ولكن هؤلاء لا يفهمون ما تقول!

قال: دعهم يسمعوها... دعها تطرق آذانهم.

حسناً كان لدينا إنسان كهذا. صحيح أني أختلف معه في ذلك ولا أوصي به، لكني لا أستطيع القول إنه كان مخطئاً[١].

لا تعيّروا الكافر! .. إنها بداية العجب

إن الشَّيطان لا يمكن أبداً أن يطلب منكم أنتم المتَّقين الخائفين من الله، قتل النفس أو الزنا أو ... وإنما يبدأ الأمر من الدرجة السفلى ثم يشق طريقه إلى قلوبكم، فيدفعكم نحو الحرص الشديد على التزام المستحبَّات والأذكار والأوراد. وفي غضون ذلك، يزيِّن لكم ما يناسب حالكم، كأن تقارنوا أنفسكم بأهل المعاصي، ثم يوسوس لكم بأنكم بحكم الشرع والعقل أفضل من ذلك الشخص، وأن أعمالكم موجبة لنجاتكم، وأنكم بحمد لله طاهرون بعيدون عن المعاصي ومبرَّأون منها، فيحصل من هذه الإيحاءات على نتيجتين: الأولى: هو سوء الظن بعباد الله، والأخرى: العجب بالنفس. وكلاهما من المهلكات ومن معين المفاسد.

قولوا للشيطان والنفس: قد تكون لهذا الشخص المبتلى بالمعصية، حسنات أو أعمال أخرى فيشمله الله تعالى بها بوافر رحمته... ولعل الله قد ابتلى هذا الشخص بالمعصية كي لا يبتلى بالعجب، الذي يعد

---

١. تفسير سورة الحمد، الإمام الخميني، القسم الثالث، ص١٩٢ - ١٩٣.

أسوأ من المعصية... ولعل عملي أنا يؤول إلى سوء العاقبة بسبب سوء الظن.

وكان شيخنا الجليل العارف الكامل الشاه آبادي، روحي فداه، يقول: «لا تعيبوا على أحد، حتى في قلوبكم، وإن كان كافراً، فلعل نور فطرته يهديه، ويقودكم تقبيحكم ولومكم هذا إلى سوء العاقبة. إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير التعيير القلبي». بل كان يقول أيضاً: «لا تلعنوا الكفار الذين لا يعلم بأنهم رحلوا عن هذا العالم كفاراً، فلعلهم اهتدوا في أثناء الرحيل، فتصبح روحانيتهم مانعاً لرقيكم».

وعلى أيٍّ حال، فإن النَّفس والشيطان يدخلانكم في المرحلة الأولى من العجب؛ وشيئاً فشيئاً يتنقلان بكم من هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى، ومن هذه الدرجة إلى درجة أسوأ، إلى أن يصل الإنسان في النهاية إلى وضعٍ يمنّ فيه على ولي نعمته ومالك الملوك، فيمنّ عليه بإيمانه أو أعماله، فيصل عمله إلى أسفل الدرجات [1].

الرِّياضة الباطلة والرِّياضة الشَّرعية

...قلنا: إنه يمكن أن تكون للإنسان، في عالم الملكوت، صورة تغاير الصورة الإنسانية، وان تلك الصور تتبع ملكوت النفس وملكاتها، فإذا كنتم ذوي ملكات فاضلة إنسانية، فستجعل هذه الملكات

---

١. الأربعون حديثاً، مصدر سابق، الحديث الثالث، ص٧٣ - ٧٤.

صوركم إنسانية عندما يحشر الإنسان ومعه تلك الملكات ما لم يخرج عن طريق الاعتدال، بل إن الملكات إنّما تكون فاضلة حين لا تتصرف النفس الأمّارة بالسوء فيها، ولا يكون لخطوات النفس دور في تشكيلها.

يقول أستاذنا الشيخ محمد علي الشاه آبادي دام ظله: «إنَّ المعيار في الرياضة الباطلة والرياضة الشرعية الصحيحة هو خطى النفس وخطى الحق، فإذا كان تحرك السالك بخطى النفس، وكانت رياضته من أجل الحصول على قوى النفس وقدرتها وتسلطها، كانت رياضته باطلة، وأدى سلوكه إلى سوء العاقبة. وتظهر الدعاوى الباطلة – عادة – من مثل هؤلاء الأشخاص.

أما إذا كان تحرُّك السالك بخطى الحق، وكان باحثاً عن الله، فإن رياضته هذه حقّة وشرعية، وسيأخذ الله بيده ويهديه كما تنص على ذلك الآية الشريفة التي تقول: ﴿**والذينَ جاهَدوا فينا لنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنا..**﴾ [1]، وسيؤول عمله إلى السعادة، فتسقط عنه الأنا، ويزول عنه الغرور. ومعلوم أن خطوات الشخص الذي يرائي الناس بأخلاقه الحسنة وملكاته الفاضلة ليلفت أنظارهم إليه هي خطوات النفس، وهو متكبر وأناني ومعجب بنفسه، وعابد لها».

ومع التكبُّر تكون العبودية لله وهماً ساذجاً، وأمراً باطلاً ومستحيلاً، وما دامت مملكة وجودكم مملوءة بحب النفس وحب

---

١. العنكبوت: ٦٩.

الجاه والجلال والشهرة والرياسة، فلا يمكن اعتبار ملكاتكم ملكات فاضلة، ولا أخلاقكم أخلاقاً إلهية [1].

ليلة القدر

إعلم أن لكل موجود حقيقة، ولكل صورة ملكية باطناً ملكوتياً وغيبياً، وأهل المعرفة يقولون: إنّ مراتب نـــزول حقيقة الوجود باعتبار احتجاب شمس الحقيقة في أفق تعيّنات الليالي، ومراتب الصعود باعتبار خروج شمس الحقيقة من آفاق تعيّنات الأيام، وإن شرف الأيام والليالي ونحسها يتَّضحان على حسب هذا البيان.

وباعتبار قوس النزول، فليلة القدر المحمدية، وباعتبار قوس الصعود فيوم القيامة الأحمدية، لأن هذين القوسين مدّ النور المنبسط الذي هو الحقيقة المحمدية، وجميع التعينات هي من التعين الأولي للاسم الأعظم.

ففي نظر الوحدة، العالم ليلة القدر ويوم القيامة، وليس أكثر من ليلة واحدة ويوم واحد، وهذا تمام دار التحقيق. أي ليلة القدر المحمدية ويوم القيامة الأحمدية، ومن تحقق بهذه الحقيقة فهو دائماً في ليلة قدر ويوم قيامة، وهذان يجتمعان.

وباعتبار نظر الكثرة، تظهر الليالي والأيام، فبعض الليالي صاحبة قدر، وبعضها ليست بصاحبة قدر، وبين جميع الليالي البنية الأحمدية والتعيُّن المحمدي الذي غرب في أفقها نور حقيقة الوجود بجميع

---

١. الأربعون حديثاً، مصدر سابق، الحديث الثاني، ص٥٤.

شؤونه، وكذلك الأسماء والصفات بكمال نوريتها وتمام حقيقتها قد غربت فيها هي ليلة القدر المطلقة، كما أن اليوم المحمدي يوم القيامة. وأما سائر الليالي والأيام فهي ليال وأيام مقيّدة، ونزول القرآن في هذه البنية الشريفة والقلب المطهر نزول في ليلة القدر، فالقرآن كما أنه نزل جملة في ليلة القدر بطريق الكشف المطلق الكلّي، كذلك نزل خلال ثلاث وعشرين سنة نجوماً في ليلة القدر، والشيخ العارف الشاه آبادي دام ظلّه كان يقول: «ليلة القدر هي الحقبة المحمدية» وهذا إما باعتبار أن جميع الحقب الوجودية هي الحقبة المحمدية، أو أن حقبة الأقطاب الكُمَّل محمد والأئمة الهداة المعصومين هي ليالي القدر[١].

آيات وحجب

إن علماءنا (رضوان الله عليهم) ممَّن تصدوا لشرح هذا الحديث الشريف[٢] قد اختلفوا في ما بينهم في شرحه... ولا نريد إطالة

١. الآداب المعنوية للصلاة، مصدر سابق، ص٤٩٨ و٤٩٩.

٢. الأربعون حديثاً، مصدر سابق، الحديث الرابع والعشرون، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «دَخَلَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله الْمَسْجدَ فَإذَا جَمَاعَةٌ قَدْ أَطَافُوا بِرَجُلٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ: عَلامَةٌ. فَقَالَ: ومَا الْعَلاَّمَةُ؟ فَقَالُوا لَهُ: أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَنْسَابِ الْعَرَبِ ووَقَائِعهَا وأَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ والأشْعَارِ الْعَرَبِيَّة. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: ذَاكَ عِلْمٌ لا يَضُرُّ مَنْ جَهِلَهُ ولا يَنْفَعُ مَنْ عَلِمَهُ. ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلاثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، ومَا خَلاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ.» أصول الكافي، ج١، ص٣٢. أطافوا: تحلّقوا حوله.

الكلام بذكر ما قالوا، ولكن سنذكر ما يخطر ببالنا القاصر في هذا الموضوع، مع ذكر شواهد لم تبين بعد، ثم نأتي على ذكر نكتة مهمة قد بيّنها العارف الكامل الشاه آبادي دام ظله.

إعلــم أن «الآية المحكمة» هي العلوم العقلية والعقائد الحقة والمعارف الإلهية، وأن «الفريضة العادلة» هي علم الأخلاق وتطهير القلوب. و «السنة القائمة» هي علم الظاهر وعلم الآداب القالبية الصورية...

والآن نفسح المجال لذكر النكتة التي وعدناكم بها، وهي أن الحديث الشريف قد عبَّر عن علم العقائد والمعارف بالآية، وهي بمعنى العلامة، والسر في التعبير هذا هو أن العلوم العقلية والحقائق الاعتقادية إذا تم تحصيلها لأجل هذه العلوم والحقائق نفسها ولأجل تجميع المفاهيم والمصطلحات وزخرفة العبارات وتزيين تركيب الكلمات بعضها مع بعض، ومن ثم نقلها إلى العقول الضعيفة، للحصول على المقامات الدنيوية، لا تكون مثل هذه العلوم من الآيات المحكمة، وإنما هي حجب غليظة، وأوهام واهية... ولا يظن علماء المفاهيم والمصطلحات والعبارات وحافظو الكتب في الصدور، أنهم من أهل العلم بالله والملائكة واليوم الآخر، فلو كانت علومهم علامة وآية على معرفة الله فلماذا لم تتنوَّر قلوبهم من الآثار النورانية؟!... والقرآن الكريم قد ذكر المقياس لمعرفة العلماء حيث يقول: ﴿**إنّما يخشَى اللّه من عباده العلماءُ...**﴾ [1] فمن لا يخشى

---

١. فاطر: ٢٦.

الحقَّ المتعال فلا يعد من العلماء.

هل في قلوبنا شيء من آثار الخشية؟ وإذا كانت فلماذا لم يبد أثر منها على ظاهرنا؟... [١].

ذخر، لوقت الضيق

فالذين لا يستضيئون بنور التوحيد والولاية، قد لا ينالون الشفاعة، وإن أهل المعاصي إذا ما استغرقوا في الآثام والذنوب، قد يلبثون أحقاباً في العذاب محرومين من الشفاعة. وقد ورد عن النبي ﷺ قوله: «وأنا خَبَّأتُ شَفَاعَتِي لأهلِ الكبائِرِ مِن أُمَّتي يومَ القيامةِ» [٢]. يقول الشيخ العارف الشاه آبادي دام ظله: «وقد عبَّر بخبّأت، لأن الشفاعة هي آخر الوسائل، التي قد لا يظفر بها الإنسان إلا بعد وقت طويل، كما يدَّخر ما ينفعه لوقت ضيقه».

إن مجرد احتمال ذلك يكفينا لأن نستيقظ من نوم غفلتنا وغرورنا،[٣] ونفكر في إصلاح أنفسنا، ونضيء قلوبنا بأنوار الطاعة

---

١. الأربعون حديثاً، مصدر سابق، الحديث الرابع والعشرون، ص٣٥٧ و٣٥٨.

٢. بحار الأنوار، ج٨، ص٤٠، كتاب العدل والمعاد، باب الشفاعة، ح٢١.

٣. يرى المرحوم الشاه آبادي ان «الاغترار بالشفاعة» أحد العوامل التي فتكت بالمسلمين، وسبَّبت لهم أمراضاً اجتماعية، وجعلتهم يرتكبون أنواع الرذائل بذريعة الشفاعة، إذ يقول: «إن الاغترار بالشفاعة يؤدي إلى الحرمان منها» (شذرات المعارف، محمد علي الشاه آبادي، الشذرة الأولى).
كما عدَّها الإمام الراحل من خدع الشيطان الكبرى، يقول: «إن من أكبر –

والمحبة لأهل البيت عليهم السلام، كي نستحق شفاعتهم، ونُشفعِ[1] نور شفاعتهم بنور الطاعة، وتجذبنـــا أنوارهم، والله الهادي [2].

رضا جنود العقل والجهل وسخطهم

وقد تبين... أن الإنسان غير المحتجب... ينظر إلى ما يراه من الله وما يفعله به بعين الرضا والسرور، فهو راض بالله مسرور به... أما صاحب الفطرة المحجوبة، الذي ظن أن الكمال في موضع آخر... فهو ساخط على الله وفعله بمقدار احتجابه عن الحق... وإن لم يصرِّح بذلك.

يقول شيخنا الكبير العارف بالله محمد علي الشاه آبادي، أدام الله ظله على رؤوس مريديه: «إنَّ التعلُّق بالدنيا يجعل الإنسان يغضب بفطرته وطبيعته على الله، إذا ما كشف عن بصره عند الموت،

- خدع الشيطان ترجّي شفاعة الأولياء عليهم السلام، والتجرّي في المعاصي... والآيات الـــواردة في القرآن عن الشفاعة من قبيل قوله تعالى: ﴿**مَن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه...**﴾ لا تمنح للإنسان الطمأنينة،... أجل نحن نترجى الشفاعة، لكن هذا الرجاء يبعثنا على طاعة الله تعالى لا على معصيته» (جلوه هاى رحمانى، ص٤٣) ويقـــول أيضاً: «انتبه أيها العزيز، وطهر رجاءك من الغرور، فلعلك كنت مغروراً وتحسب أنك راجٍ»، (الأربعون حديثاً).

١. الشفاعة لغة أصلها «شَفْع»، وتعني الزوج في مقابل «الوتر»، وهو الفرد، فالمراد من الشفاعة طلب طرف العون من آخر.

٢. شرح حديث جنود العقل والجهل، الإمام الخميني، الطبعة الثالثة، ص٣٧٤.

وجاءت سَدَنة الحق من الملائكة الموكلين بترع روحه، ليفرقوا بينه وبين محبوبه ويسلبوه منه، حتى يخرج من الدنيا وهو معاد للحق تعالى وملائكته المقدسين» [١].

وقريب من هذا المعنى ما ورد في الكافي من الحديث الشريف الذي شرحناه في كتاب: «الأربعون حديثاً» في الحديث الثامن والعشرين [٢].

وعموماً، فالسخط والغضب على الله تعالى وفعله، هو من جنود إبليس والجهل، ومن لوازم الفطرة المحجوبة، أعاذنا الله منه [٣].

١.وقد كتب الإمام الخميني، في رسالة بعثها إلى ابنه السيد أحمد يقول: «روى رجل متعبِّد أثق به قال: حضرت عن شخص يحتضر، فسمعته يقول: إنَّ ما لقيته من الظلم من الله لم ألقه من أحد قط، فهو يريد أن يفرق بيني وبين أطفالي الذين ربيتهم بمهجتي. فنهضت وتركته وكان قد مات على هذه الحال»، نقلاً عن كتاب: جلوه هاى رحمانى (نفحات رحمانية).

٢. « عن عبد الصمد بن بشير عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قَالَ: قُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللهُ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ لِقَاءَ اللهِ أَبْغَضَ اللهُ لِقَاءَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ. فَقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ حَيْثُ تَذْهَبُ، إِنَّمَا ذَلِكَ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ، إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَقَدَّمَ، وَاللهُ تَعَالَى يُحِبُّ لِقَاءَهُ وَهُوَ يُحِبُّ لِقَاءَ اللهِ حِينَئِذٍ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنْ لِقَاءِ اللهِ وَاللهُ يُبْغِضُ لِقَاءَهُ». الكافي، مصدر سابق، ج٣، ص١٣٤، باب ما يعاين المؤمن والكافر.

٣. شرح حديث جنود العقل والجهل، مصدر سابق، المقصد السادس في الرضا والسخط، ص١٦٤ – ١٦٦.

الصِّيغ المعدنية

«اللهمَّ إنِّي أسْألُكَ مِنْ عِزَّتِكَ بِأعَزِّها، وكُلُّ عِزَّتِكَ عَزيزَةٌ»

العزيز هو الغالب والقوي أو الفرد الذي لا معادل له. وهو تعالى عزيز بالمعنى الأول، كيف وهو غالب على جميع الأشياء قاهر لها، وجميع سلسلة الوجود مسخر بأمره: ﴿**ما من دابّة إلاّ هو آخذ بناصيتها**﴾[1]... وهو تعالى عزيز بالمعنى الثاني، فإن واجب الوجود فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى قوة. وليس في دائرة الوجود قوي إلا هو؛ وقوة كل ذي قوة ظل قوّته ومن درجات قدرته...

وهو تعالى مؤثر في مظاهره الخَلقية؛ بل هو السميع البصير بعين سمعنا وبصرنا، على ما يعرفه الراسخون في العلم والمعرفة. قال شيخنا العارف الكامل الشاه آبادي أدام ظله على رؤوس مريديه: «إن السميع والبصير ليسا من أمهات الأسماء. ويرجعان إلى علمه في مقام الذات، ولا يفترقان منه إلاّ إذا وقعا للمخلوقين والمظاهر، فيتحقق السمع والبصر في حقه تعالى بعين السمع والبصر الواقعين للمظاهر».

فجميع دائرة الوجود ومبادئ التأثير في الغيب والشهود مظاهر قوته وقدرته، وهو الظاهر والباطن والأول والآخر.

وهو تعالى عزيز بالمعنى الثالث، لأن الصرف لا يتثنّى ولا يتكرَّر، وكل ما فرضته ثانياً له فهو هو.

---

١. هود: ٥٦.

والعزيز من أسماء الذات على ما جعل الشيخ الكبير في إنشاء الدوائر على ما نسب إليه[١]. ولكن التحقيق أنه من أسماء الذات إن كان بالمعنى الثالث، ومن أسماء الصفات إن كان بالمعنى الثاني، ومن أسماء الأفعال إن كان بالمعنى الأول.

وقال شيخنا العارف، دام ظله: إنّ ما كان من الأسماء على زنة «فعول» و «فعيل» فمن أسماء الذات، لدلالتها على معدنية الذات. وكان اصطلاحه فيها «الصيغ المعدنية»[٢]، وعلى هذا كان كثير من الأسماء التي على وزن الصِّفة والفعل، في تحقيق الشيخ الكبير، من الأسماء الذاتية في نظره دام ظلّه [٣].

القدرة الإلهية... دعاء السحر

««اللهمَّ إنِّي أسألُكَ من قُدرتكَ،
بالقُدرَةِ الَّتي استْطَلتَ بها على كلِّ شَيْءٍ، وكُلُّ قُدرتكَ مُستَطيلَةٌ»».

القدرة من أمَّهات الصفات الإلهية، ومن الأئمة السبعة التي هي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والتكلم. ولها الحيطة التامّة والشمول الكلي؛ وإن كانت محتاجة في التحقُّق إلى الحياة

---

١. إنشاء الدوائر، ص٢٨.

٢. الإنسان والفطرة، ص١٠.

٣. شرح دعاء السحر، الإمام الخميني، مؤسسة نشر وتنظيم آثار الإمام الخميني، ١٤١٦هـ، ص٩٣ - ٩٥.

والعلم.

إن السَّالك إلى الله بقدم المعرفة قد ينكشف له في بعض حالاته أن سلسلة الوجود ومنازل الغيب ومراحل الشهود من تجلّيات قدرته تعالى ودرجات بسط سلطنته وملكه، ولا ظهور لمقدرة إلاّ مقدرته ولا إرادة إلاّ إرادته؛ بل لا وجود إلاّ وجوده.

ثم إن القدير من الأسماء الذاتية على ما مرّ من تحقيق شيخنا العارف الكامل أدام الله تأييداته. والقادر من أسماء الصفات على ما عيّن الشيخ الكبير في «إنشاء الدوائر»[١]. والمقتدر بأسماء الأفعال أشبه، وإن جعلَه الشيخ من أسماء الصفات. والله العالم[٢].

الوَلاية.. الوِلاية

وتوهَّم بعضٌ أن الولاية فريضة كسائر الفرائض، وفي عرضها أو أشرف منها، للرواية الواردة: «بُنِيَ الإسلامُ على خَمسٍ... ومنها الولاية»[٣]، وقال شيخنا العارف الكامل الشاه آبادي، أدام الله ظلّه على رؤوس مريديه: «إن الولاية في الحديث الشريف بفتح الواو بمعنى المحبة. والولاية التي هي أحد أركان الدين بل أصله وكماله هي بالكسر» تدبّر[٤].

---

١. إنشاء الدوائر، ص٢٨.

٢. المصدر نفسه، ص١٠٩ - ١١٣.

٣. أصول الكافي، ج٢، ص١٨.

٤. شرح دعاء السحر، مصدر سابق، ص٦٥، الهامش.

السفر الثالث

قال شيخنا العارف الكامل الشاه آبادي مُدَّ ظله: «إن السالك بقدم المعرفة إلى الله إذا تم سفره الثالث، وسرى بهويته الجمعية في جميع مراتب الموجودات، يرى بعين البصيرة جميع مصالح العباد، من أمور المبدأ والمعاد، وما يقرّبهم إليه تعالى، وأن الطريق إليه لكل أحد بخصوصه، وله التشريع في هذا المقام. وكان هذا المقام حاصلاً لمولانا قطب الموحدين وأمير المؤمنين والأئمة المعصومين من بعده؛ ولكن رسول الله، ﷺ، لما تقدم عليهم زماناً وكان صاحب المقام أظهر الشريعة فلم يبق مجال التشريع لأحد، لتمامية شريعته. فلا بد للأولياء من بعده من متابعته. ولو فرضنا تقديم أمير المؤمنين، عليه السلام، عليه ﷺ زماناً، لأظهر الشريعة وتكفّل أمر الرسالة والنبوّة فللرسول، ﷺ متابعته إذا جاء بعده. ولكن الحكمة البالغة تعلقت بأن أظهر الشريعة بيد رسول الله ﷺ»[١].

سر الجمع والإفراد

«اللهمَّ إنِّي أسأَلُكَ مِن قَولِكَ بأرْضاهُ،
وَكُلُّ قَولِكَ رَضِيٌّ، اللهمَّ إنِّي أسأَلُكَ بِقَولِكَ كُلِّه».

قد تحقّق، في ما سبق، وبلغ التحقيق بما استحق، أن حالات السالك ومقاماته في سيره وسلوكه مختلفة، فإن الإنسان مظهر اسم

---

١. المصدر نفسه، ص٤، الهامش.

﴿كُلُّ يَومٍ هوَ في شَأنٍ﴾[1]، ففي كل حالٍ وشأن يظهر له محبوبه باسم، ويتجلّى له معشوقه ومطلوبه بتجلٍّ، من اللطف والقهر والجلال والجمال. قد يتجلّى باسم واحد بنحوين من التجلّي وطورين من الظهور: جلوة بنحو الكثرة في الوحدة، وجلوة بنحو الوحدة في الكثرة. فإن تجلّى له على النحو الأول، يغلب على قلبه سلطان الوحدة، ويجري على لسانه كلام يناسب حاله، فيترنّم بما يدلّ على الوحدة ويقول: «اللهمَّ إنّي أسألُكَ مِن قَولِكَ بِأرْضاهُ» بلفظ المفرد. وإن تجلّى له على النحو الثاني، يغلب على قلبه سلطان الكثرة، فيترنّم بكلام يناسب حاله، ويدلّ على الكثرة فيقول: «اللهمَّ إنّي أسألُكَ مِن كلماتِكَ بِأتَمِّها» بلفظ الجمع. وهذا أحد الأسرار في ذكر «القول» و«الكلمات» والتوجه إليهما في الدعاء الشريف.

وسألت شيخي العارف الكامل، أدام الله ظلّه، عن وجه ذلك، فأجاب بما حاصله: «إن حالات السالك مختلفة؛ فقد يتجلّى له ربّه باسم بحسب حالٍ من حالاته، ثم يتجلّى له باسم آخر بحسب حالٍ أخرى، ثم يتجلّى له بالاسم الأول بعود الحال الأولى، فيصير السؤال في الحالين: الأولى والثّالثة متحِّداً» [2].

وقد علق السيد أحمد الفهري، في ترجمته لشرح دعاء السحر، على هذا المقطع بقوله: «والفرق بين جواب الشيخ وجواب الإمام، أن الإمام يأخذ الكثرة والوحدة في التجلي نفسه، بينما يأخذهما

---

١. الرحمن: ٢٩.

٢. شرح دعاء السحر، مصدر سابق، ص١٢٣ و١٢٤.

الشيخ في عدد التجليات، فلو تجلى الاسم لمرة واحدة، لجاء الدعاء بصيغة المفرد، ولو تجلى لمرتين أو أزيد، لجرى الدُّعاء بصيغة الجمع»(١) .

أوّل الأسماء

«اللهمَّ إنِّي أسألُكَ من عُلُوِّكَ بأعْلاهُ،
وَكُلُّ عُلُوِّكَ عالٍ، اللهمَّ إنِّي أسألُكَ بعُلُوِّكَ كُلِّه».

هو العالي في دنوِّه، والدَّاني في علوِّه. وله العلو المطلق، وسائر المراتب الوجودية دونه. ولا علوّ على الإطلاق لشيء إلاّ له، بل علو كل شيء ظلّ لعلوّه.

والعليُّ من الأسماء الذاتية، على تحقيق شيخنا العارف الكامل، دام مجده، ويستفاد من الرواية المنقولة عن طريق شيخ المحدثين محمد ابن يعقوب الكليني، (رضوان الله عليه)، في الكافي عن ابن سنان قال: «سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: هَلْ كَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَارِفاً بنَفْسه قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: يَرَاهَا وَيَسْمَعُهَا؟ قَالَ: مَا كَانَ مُحْتَاجاً إِلَى ذَلكَ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْأَلُهَا، وَلا يَطْلُبُ منْهَا، هُوَ نَفْسُهُ، وَنَفْسُهُ هُوَ، قُدْرَتُهُ نَافذَةٌ، فَلَيْسَ يَحْتَاجُ أَنْ يُسَمِّيَ نَفْسَهُ، وَلَكنَّهُ اخْتَارَ لنَفْسه أَسْمَاءً لغَيْره يَدْعُوهُ بهَا، لأَنَّهُ إذَا لَمْ يُدْعَ باسْمه، لَمْ يُعْرَفْ، فَأَوَّلُ مَا اخْتَارَ لنَفْسهِ الْعَلِيُّ الْعَظيمُ لأَنَّهُ أَعْلَى الأَشْيَاءِ

---

١. الترجمة الفارسية لكتاب:شرح دعاء السحر، ص ١٦٩ و١٧١.

كُلِّهَا، فَمَعْنَاهُ اللهُ، وَاسْمُهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ هُوَ أَوَّلُ أَسْمَائِهِ عَلا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» [١].

فمن الرواية الشريفة يظهر أنه من الأسماء الذاتية التي اختارها لنفسه قبل أن يخلق الخلق، وباعتبار آخر من الأسماء - الصفات، كما يظهر من آخر الرواية؛ حيث قال: عَلا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ [٢].

الحضور لدى الله

إن الموجودات، بمراتبها السافلة والعالية جميعها، مرتبطة بالوجه الخاص بالله تعالى بلا توسط شيء، فإن المقيد مربوط بباطنه وسرّه بالمطلق، بل هو المطلق عينه، بوجه يعرفه الراسخون في المعرفة.

وكان شيخنا العارف الكامل، (أدام الله ظلّه على رؤوس مريديه) يقول: «إن المقيد بباطنه هو الاسم المستأثر لنفسه؛ وهو الغيب الذي لا يعلمه إلاّ هو، لأن باطنه المطلق، وبتعيُّنه ظهر لا بحقيقته. فالكل حاضر عند الله بلا توسط شيء» [٣] .

كطفل يتلو قصيدة

لقد كان شيخنا العارف الكامل (روحي فداه) يضرب مثلاً على

---

١. أصول الكافي، ج١، ص١١٣، كتاب التوحيد، باب حدوث الأسماء، ح٢.

٢. شرح دعاء السحر، مصدر سابق، ص١٤١ ــ ١٤٢.

٣. المصدر نفسه، ص١٢١.

حضور القلب في العبادة على سبيل الإجمال بأن شخصاً ينظم قصيدة في مدح أحد، فيعطيها لطفل لا يستوعب معناها كي يلقيها أمام ذلك الشخص، ثم يفهم الطفل ان هذه القصيدة قد نظمت في مدح ذلك، فعندما يقرأ الطفل القصيدة يعلم إجمالا أنه يثني على الممدوح رغم جهله لكيفية ثنائه عليه. ونحن أيضاً بمثابة الأطفال نمدح الحق من دون أن نعرف ما هي أسرار هذه العبادة، وما هي الأسماء التي ترتبط بها هذه العبادات، وكيف تكون هذه العبادات ثناءً للحق جل وعلا، ولكن لا بد من أن نعرف إجمالا بأن كل عبادةٍ من هذه العبادات ثناء على الكامل المطلق والمعبود المطلق والممدوح المطلق، على الشكل الذي أثنى هو بنفسه على نفسه، وأمرنا أن نثني أمام ساحته المقدسة بالكيفيَّة نفسها[١].

اسم الله المستأثر

الاعتبار والأخذ واللحاظ ونظائرها من هذه المفردات هي من لواحق الماهيّات والطبائع التي هي نفسها (الماهيات والطبائع) أيضاً أمورٌ اعتبارية، والاعتبارات المذكورة (بشرط لا، ولا بشرط، وبشرط شيء) في كلام الشارح لا سبيل لها في حقيقة الوجود. بل إن كل ما هو مصطلح لدى أهل الله ليس سوى نتيجة مشاهداتهم وخواطرهم القلبية... ومع الالتفات إلى هذه الحقيقة، يمكن القول: إنَّ الوجود

---

١. الأربعون حديثاً، مصدر سابق، الحديث السابع والعشرون، ص٣٩٢.

يتجلى إما بالتجلّي الغيبي الأحدي المستهلَكة فيه جميع الأسماء والصفات؛ وهذا التجلّي يقع بالاسم المستأثر الذي هو اثنان وسبعون حرفاً من حروف الاسم الأعظم، حيث هذا هو مقام الـ «بشرط لا»، وهذا المقام اسم للحق تعالى. وفي النهاية: إنّ هذا الاسم ليس معلوماً لأحد، بل استأثر به الله عز وجل في علم الغيب عنده... يقول أستاذنا العارف الكامل دام ظلّه:

«الاسم المستأثر هو الذات الأحديّة المطلقة، لأن الذات تكون منشأ الظهور بحيثية التعيّن، بخلاف الذات المطلقة، أي الفاقدة للتعيّن. وإطلاق الاسم على ما له إشعار بالتعين على نحو المسامحة، والظاهر من كلام الشيخ القونوي وتقسيمه الأسماء الذاتية إلى اسمٍ تعيّنَ حكمُه وأثرُه، واسمٍ لم يتعيّن حكمُه وأثرُه، هو أن الاسم المستأثر من الأسماء الذاتية، التي ليس لها مظهر في العين والخارج» [1].

وعندي أن للاسم المستأثر أيضاً أثراً في عالم العين والخارج، غاية ما في الأمر أن أثره مستأثر أيضاً. لأن للأحدية الذاتية بكل شيء وجهة خاصة وعلاقة متميِّزة، وهذا هو سر وجود الذات الأحدية التي لا يعلمها إلا الله عز وجل، كما قال تعالى: **﴿ما مِنْ دابَّةٍ إلاّ هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها﴾**[2]، **﴿ولِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها﴾**[3].

---

١. تعليقة الإمام الخميني في ذيل قول القونوي: «ما لم يتعيّن له أثر».

٢. هود: ٥٦.

٣. البقرة: ١٤٨.

إذاً، فللوجهة الغيبية أثر مستأثر غيبي، فتدبَّر وتعرَّف [١].

... ولا أحد يعرف كيفية هذا الارتباط «الغيبي الأحدي»، بل هي علاقة بين الأسماء المستأثرة والمظاهر المستأثرة، لأن للأسماء المستأثرة عندنا مظاهر مستأثرة، إذ لا اسم بلا مظهر أبداً، فللاسم الإلهي المستأثر مظهر أيضاً. لكن مظهره مستأثر في علم غيب الحضرة الأحدية كالاسم، لذا فلعالم الوجود والكون حظ من الحضرة والأحدية وحظ من حضرة الأحدية، وحظه من الحضرة والأحدية واضح ومعروف للكاملين من أولياء الله تعالى، أما حظه من الحضرة الأحدية فهو سر مستأثر عند الله تعالى، أشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[٢].

الدعاء؛ قرآن صاعد

إننا بحاجة إلى إصلاح أنفسنا وتهذيبها، نحتاج إلى ذلك حتى النهاية، حتى الأنبياء يحتاجون إلى ذلك، حتى الأنبياء العظام، وامتيازهم أنهم عرفوا ما يحتاجون إليه، فانطلقوا وراء تحقيق ما يفتقرون، أما نحن فقد حالت الحجب دون إدراكنا لما نحتاج إليه، فقعدنا عن القيام بما يجب علينا فعله...

اسألوا الله، تبارك وتعالى، أن يوفقكم في هذا الشهر المبارك لأداء أعمالكم المكلفين بها بما يوافق رضاه.

---

١. تعليقة الإمام الخميني على كتاب «مصباح الانس» لابن الفناري.

٢. تعليقة الإمام الخميني على شرح كتاب «فصوص الحكم».

إن الأدعية الواردة في شهري رمضان المبارك وشعبان هي طريقنا إلى غايتنا، فهي «قرآن صاعد» كما عبر عنها شيخنا رحمه الله (الشيخ الشاه آبادي)... إذ كان يقول: إن القرآن نازل وهذه الأدعية قرآن صاعد.

على أية حال، تدبَّروا في المعاني الدقيقة الموجودة في هذه الأدعية المباركة، فهي قادرة على بعث الإنسان وتحريكه. إن شهر رمضان يعين الإنسان على كثير من الأمور، بل إنه يجعل الإنسان قادراً على ضبط نفسه إلى قابل، أو إلى آخر عمره، فلا يتجاوز مرضاة الله.

أرجو ان نُوفَّق جميعنا لأن نتعلم ذكر الله وعبادته في هذا الشهر المبارك حتى النهاية...

اللهم إنّا عبيدك الضعفاء، عبيدك المعدمون، لا نملك شيئاً بل لسنا بشيء، فأنت كل شيء. اللهم إن تجاوزنا فعن جهل، فاعف عنَّا.

اللهم وقد دعوتنا لضيافتك فأدخلنا رضاك، اللهم وفِّقنا لأن نكون ضيوفاً في ساحتك.

اللهم، وهذه إيران التي تتعرَّض للهجوم من كل صوب، اللهم فانصرها وأعززها إعلاءً لشأن الإسلام [1].

---

١. صحيفة النور، ج١٩، ص١٦، من خطاب للإمام الخميني لدى لقائه بنوّاب مجلس الشورى الإسلامي الدَّورتان الأولى والثانية، بتاريخ ١٩٨٤/٥/٣١م.

الفصل الثالث

مختارات من مؤلّفات العارف الكامل

" شيخي الكبير هو من أيقظ الروح في وجودي

وإني لعاجز عن شكره بيدٍ أو لسانٍ "

الإمام الخميني ١٩٨٤/٤/٢٧

ترك المرحوم الشيخ محمد علي الشاه آبادي وراءه نتاجات علمية جليلة ضاع القسم الأعظم منها لظروف وعوامل مختلفة؛ بما في ذلك الكتابات التي كانت قد أعطيت للإمام الخميني بعد وفاة أستاذه، إذ استولى عليها جهاز السافاك[1] لدى مداهمته لمنـــزل الإمام ومكتبته، ولم تسفر المحاولات للعثور عليها بعد انتصار الثورة الإسلامية عن نتيجة تذكر.

أما كتبه ورسائله العلمية التي نجت من الضياع فلم تر النور منذ كتابتها، وكانت طريقة الحفاظ عليها سيئة حتى تعرَّضت للتَّلف الشديد.

وعليه، لم يطبع حتَّى الآن من جميع ما كتبه ذلك العارف الكامل سوى كتابين قيِّمين هما: «شذرات المعارف» و«رشحات البحار»، اللَّذان لم يحظيا بطبعة لائقة.

ومن هنا اقتصرنا، في هذا الفصل، على استعراض هذين الكتابين فقط، تاركين لملمة شتات آثاره الأخرى إلى مؤلَّف آخر سوف يصدر تحت عنوان «الفقيه المجاهد»[2].

---

١. جهاز الأمن في نظام الشاه محمد رضا بهلوي والذي عرف بدمويَّته.

٢. جدير بالذكر أن الملحق الثالث من هذا الكتاب تضمَّن نماذج مـــن مخطوطـــات مؤلفات المرحوم الشاه آبادي وكتاباته.

شذرات المعارف

ألّف المرحوم الشيخ العارف الشاه آبادي هذا الكتاب باللغة الفارسية، وقسّمه إلى خمس شذرات، أي خمسة فصول في موضوعات مختلفة: اجتماعية وسياسية وأخلاقية وعقديّة وعرفانية، كتبه الشيخ عام ١٩٤٠م، وطبع أربع مرّات حتى الآن، أولاها عام ١٩٤٥[١]، أي في حياة الشيخ، أما طبعته الثالثة فقد صدرت بالحجم الجيبي سنة ١٩٥٨ (رمضان ١٣٧٧هـ)، ثم طبع طبعة رابعة بعد انتصار الثورة الإسلامية بخمسة أعوام؛ وذلك عام ١٩٨٤[٢]، لكن هذه الطبعة كانت مليئة بالأغلاط مع الأسف.

لذا ارتأى القسم الثقافي في مؤسسة الشهيد الشاه آبادي تقويم هذا الكتاب وتنقيحه ليصدر في طبعة خامسة خلال العام ٢٠٠١م، وقد الحقت به معارف أخرى عثر عليها في بعض النسخ الخطية، بالإضافة إلى رسالة «المعارف» التي تنشر لأول مرّة؛ حيث وضعت في آخر الكتاب بعنوان «الشذرة السادسة» [٣]. ستجد في هذا الفصل مقتطفات من هذا الكتاب القيم.

---

١. في جمادى الثّانية عام ١٣٦٥ هـ، أي قبل وفاته بثلاث سنوات ونصف.

٢. في ٧٤ صفحة.

٣. سيجد القارئ صورة من صفحة مخطوطة من هذه الرسالة في الملحق الثالث من هذا الكتاب.

رشحات البحار

أمّا كتاب «رشحات البحار» فقد ألّفه المرحوم العارف باللغة العربية، وهذا الكتاب في الحقيقة يتألف من ثلاثة كتب مستقلة هي: القرآن والعترة؛ الإيمان والرجعة؛ الإنسان والفطرة، ومجموع صفحات الجميع ٣٧٠ صفحة، يضمها مجلد واحد يحمل هذا الاسم «رشحات البحار»، وقد ترجمه نجله محمد الشاه آبادي إلى اللغة الفارسية وشرحه، وطبع سنة ١٩٨٤.

يجب علاج المرض.. لا التأوّه منه فقط

لقد ابتليت البلاد الإسلامية منذ زمن بأمراض مزمنة ومهلكة. فقد انتشرت العقائد الباطلة، والأخلاق الرذيلة والأفعال القبيحة، بحيث لا يمكن أن ننسب الأمّة إلى الإنسانية فضلاً عن الإسلامية، وهذه الأمراض تشتد وتتفاقم يوماً بعد يوم حتى فسد مزاج الأمة تماماً بما يهدد اسمها بعد رسمها بالزوال، نعوذ بالله من هذا المصير.

وفي هذه الأوضاع، نشاهد طائفة من المتدينين يظهرون في المحافل والمجالس أسفهم على ما يجري على الإسلام، ولكنهم في غفلة عن شيء مهمّ، وهو التفكير في العلاج، لأنه لا جدوى من التأوّه ولا جدوى من عدّ الأمراض، فهذا لا يداوي مرضاً، وإن كان الطريق إلى العلاج هو معرفة المرض[1].

---

١. شذرات المعارف، الشّذرة الأولى، المقدمة.

الغرور الأكبر

«السبب» الأوَّل (من الأسباب التي أمرضت المسلمين) هو غرورهم بكونهم على الحق، الذي أدَّى إلى تسليم ساحة الدعوة إلى المعاندين، كما أدى أيضاً إلى القناعة بالإسلام الفردي وإهمال التبليغ والقيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما هي الحال في الاغترار بالشفاعة، الذي أصبح منشأً لارتكاب أنواع الرذائل الأخلاقية والكبائر من المعاصي... في حين أن الغرور والاغترار بالإسلام والشفاعة سيفضي إلى الحرمان منها جميعها[١].

الإسلام الفردي

إن القرآن المجيد لا ينسجم مع الإسلام الفردي، ذلك أن القرآن لا يأمر بالصلاة على انفراد، بل لقد أوكل إلى المسلمين، إضافة إلى ذلك، مهمة إنتاج المصلّي وإقامة الصلاة. والقرآن لا يطلب منا الاحتراز من الزنا فحسب، بل علاوة على ذلك يجعل من حفظ العقد والمنع من وقوع الزنا في العالم من وظائفنا وواجباتنا[٢].

---

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه.

التدبير الإلهي

«الحدود» و«الديات» تدابير إلهية من أجل الحؤول دون الوقوع في «المنهيّات» وازدهار «الأوامر»، ذلك ان «القصاص»، وإن بدا في ظاهره إعدام في مقابل إعدام، أو كأنه تكثير لعدد المعدومين، ولكنه أعظم تدبير من أجل صيانة حق الحياة والردع عن قتل النفس، لذا قال تعالى: ﴿**وَلَكُم في القَصاصِ حَيَاةٌ يا أُولِي الأَلْبابِ**﴾[١]، وعندما ينفّذ هذا الحكم السياسي الإلهي، فان الإنسان وبسبب حب الذات وحب البقاء سوف يرتدع عن ارتكاب هذا الفعل القبيح، وسيسعى للحفاظ على حياة الآخرين[٢].

أهذه نعمة؟

نشاهد بعض الجهلة والمغفلين سعداء لكونهم يستخدمون صناعات الأعداء! ويقولون: إنّ الله سبحانه سخّرهم لنا خَدَماً وحمّالين! لكنهم لو نظروا بعين الإنصاف إلى ذلك لرأوا أنّ الحمّال هو من يبيع قطنه للأجنبي بستة دراهم، ثم يعود ليشتريه منه بستة آلاف درهم، أو أكثر من ذلك!...

أهذه نعمة حقّاً لتفرحوا بها؟ أمن النِّعمة أن نعطّل قوانا العقلية

---

١. البقرة: ١٧٩.

٢. شذرات المعارف، الشذرة الثانية، المعرفة الثالثة.

والعملية فنستحق بذلك هذه النقمة. يجب علينا أن نستغفر مما نفعله بأنفسنا.. **﴿ربَّنا ظَلَمْنا أنفُسَنا واعتَرَفنا بِذُنُوبنا وإنْ لَمْ تَغفِرْ لنا وتَرحَمْنا لَنَكونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ﴾**[1]، يجب أن نحيل بلادتنا إلى إحساس، وخنوعنا إلى غيرة، وأن نعبّر عن غضبنا بمقاطعتنا للكفار... إن ألبسة المسلمين وسلعهم يجب أن تنتج في بلدانهم، وأن لا يكونوا سوقاً للأجانب[2].

الحس الحضاري والحس الديني

إنّ «الحس الحضاري الإنساني» يقتضي القيام بعمل مقابل أداء الآخر لعمل. ومثال ذلك ما يقع من النَّجار في مقابل البنَّاء. أما «الحس الديني» الذي أوجده الأنبياء في الإنسان بجهودهم، فيقتضي النهوض بحاجة الأخ حتى لو لم تُقضَ له حاجة في مقابلها. لذا فإن ناموس العون ينهض على صرح «الهمة الإنسانية العالية» والحث والترغيب في الشريعة المطهرة على ذلك يفوق حد الإحصاء. ويقول المعصوم (سلام الله عليه) في شروط الأخوَّة: «أنْ لا يمنعَكَ شيئاً تنالُه بقدرتِه. فيعينك أخوك في حدود قدرته في أمورك بيده ولسانه وماله وعملِه وقلمه، وهذه طبعاً من خصال أهل الهمم العالية[3].

---

١. الأعراف: ٢٣.

٢. شذرات المعارف، الشذرة الثانية، المعرفة ١٤.

٣. المصدر نفسه، الشذرة الثانية، المعرفة ٢٣.

حاجات المعاش والمعاد

إنّ التزاحم بين الدِّين والدنيا... منشأ لضرورة أن يتوجه بعضهم إلى تحصيل المعارف الدينية وإفاضتها إلى الآخرين، كما قال الله تعالى: **﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُم طائفةٌ ليتفقّهُوا في الدِّين ولِيُنذِروا قَومَهُم إذا رَجَعوا إليهِم لَعلَّهُم يَحذَرونَ﴾**[١]، وإلاّ فالعلماء قادرون على تحصيل معاشهم مثل سائر الناس، بل هم أقوى لما لديهم من إمكانات عقلية، لكنَّهم لما كانوا لا يملكون من الوقت أكثر مما يملكه الآخرون، أي أن يومهم ليس ضعفي يوم الناس كي يقسموه نصفين: نصف لطلب العلم والآخر لتحصيل الرزق، ومن هنا كان لا بد من أن يتولى بعضهم مهمة تأمين حاجات المعاش للإنسان، ويتولى بعضهم الآخر تأمين حاجات المعاد [٢].

فتح باب الزراعة

أوّل أصول التعاون هو فتح باب الزراعة وتنميتها: ذلك أنه أول أمر يلبي الحاجات ويحقق الثروة. بل إن الإقبال على الزراعة أمر فطري تقتضيه طبيعة البشر، والشاهد على ذلك إقبال الأطفال على اللعب بالماء والتراب. وإذن، يجب إحداث ربط ما بين الأجزاء

---

١. التوبة: ١٢٢.

٢. شذرات المعارف، الشذرة الثانية، المعرفة ٣٢.

المنتجة لها، وهي الماء والتراب والإنسان، وبخاصَّة في البلاد الإيرانية حيث الأجزاء متوافرة بكثرة، حتى يحصل الرفاه في ظلال هذا الارتباط، ويزدهر تحصيل المعاش الحلال، فينصرف الإنسان فارغ البال إلى الاهتمام بشؤون المعاد، فلا بدَّ من أن ينصب جل اهتمام المتديِّن على تنظيم هذا الأمر[1].

النِعم العشر

إن صدور الحسنة، من الإنسان، ناشئ من تنعُّمه بعشر نعم:

١- نعمة الإيجاد

٢- نعمة الاستعداد

٣- نعمة التربية

٤- نعمة الارتزاق

٥- نعمة بعث الرسل

٦- نعمة إنزال الكتب

٧- نعمة تبيين الحسنات والسيئات

٨- نعمة التوفيق

٩- نعمة الإخلاص

١٠- نعمة العبودية

---

١. المصدر نفسه، المعرفة ٣٦.

فالعمل بالحسنة إظهار لتلك النعم العشر وشكر عليها، وإذن من الطبيعي أن يكون الثواب عشرة أمثالها. أما ارتكاب السيئة فلأنه ناشئ من الغفلة عن تلك النِعَم والمُنعِم، بل هو التفات إلى عالم النفس، فجزاؤه إذن مماثل له. ومن هنا ندرك أن القيام بالسيئة لأنه صادر عن الغفلة والجهل، فهو لا يعد كفراناً للنعم العشر[1].

الرياضة الرافعة

ما لم تصل الأفعال القبيحة إلى حدّ المَلَكة فهي في زمرة السيئات القابلة للعفو والغفران، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنهُ نُكَفِّرْ عَنْكُم سَيِّئاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيْمَاً**﴾[2].

أما في حالة تكرارها حتى تصبح ملكة نفسانية، وتكون مصداقاً للطغيان والعصيان، فلا ينفع معها شيء سوى الرياضة النفسية التي ترفع هذه الملكة الطاغية، وإلاّ ظلّت كذلك حتى تفاجئه سكرات الموت وموتات عوالم البرزخ والحشر والنشر وتطاير الكتب، وإذا لم ترتفع هذه الملكة خلال ذلك فحينئذ لزمه الدخول إلى النار وعالم الجحيم، والآية الكريمة: ﴿**لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً**﴾[3] شاهدة على

١. المصدر نفسه، الشذرة الثالثة، المعرفة ٧٤.

٢. النساء: ٣١.

٣. النبأ: ٢٣.

ذلك، إذ إنّ هذه الآية في حق طائفة من أهل الإيمان كانوا عصاةً، وإلاّ فإن الكفار خالدون في النار[1].

الغيرة

«الغيرة» من الصّفات الروحية في الإنسان، وهي التي تدفع بالمرء من أجل حفظ الحقيقة وإبطال الأباطيل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وهي من صفات الجلال الربوبية، إذ جاء في الأثر: «إنّ اللهَ غَيُورٌ ولِغَيرَتِهِ حَرَّمَ الفَواحِشَ». لذا فإن الأشخاص الغيورين يسعون في حفظ الحق وإبطال الباطل، حتى إن فلسفة قتل جميع الأنبياء هي لضخِّ الغيرة في البشر لحفظ الدين.

وكما تشاهدون، إن انتشار كل دين إنّما يحصل بعد استشهاد النبي، لأن معاصريه، وإن كانوا يرونه إنساناً صالحاً، بيد أن الشبهات كانت تصدُّهم عن الإيمان بنبوَّته في حياته، لكنهم ما إن يروه يُقتل في سبيل رسالته، حتى تتأجج غيرتهم وتبعثهم للتمسك بدينه ونشره.

وبشكل عام، فقد كانت الغيرة على الدوام هي الحافز لانتشار الحق وانحسار الباطل، حتى «مزدك» الذي يقول بعدم ضرورة الغيرة في الإنسان لأنها السبب في اختلال النظام الإنساني، لو دققتم النظر لوجدتم أن الذي دفعه لرفع الغيرة عن البشرية هو غيرة هذا العدم

---

١. شذرات المعارف، الشذرة الرابعة، المعرفة ١٢٩.

الغيرة، لأنه أراد من خلال ذلك القضاء على الغيرة لأنها مضرة. واسَوْأتاه من هذه اللا أبالية، حيث وصل الأمر إلى أن تخرج النساء متبرِّجات بكامل زينتهن إلى الشوارع والأسواق.

أيها الناس، إذا تخلّيتم عن غيرتكم فاعلموا أن الله غيور، وأن الغيرة من صفاته الذاتية[١].

مصباح البرزخ

روي أن أحدهم رأى المرحوم العلاّمة المجلسي (طاب ثراه) في المنام فسأله عمَّا جرى عليه بعد الموت، وأن المرحوم العلاّمة قال له: أنه بعد عروج الروح سُئلت عما جئت به فقلت: «بحار الأنوار»[٢]، فسئلتُ: هل جئتَ بشيء آخر غير هذا؟ فسكتُّ. فقيل لي: إن لديك شيئاً، وهو تفاحة أعطيتَها لطفل يهودي، وما تراه هنا إنّما هو بسبب هذه التفاحة.

وللتوضيح نقول: إنه قد ظن صاحب الرؤيا إن «بحار الأنوار» لم يُقبل، لأنه لم يترتب عليه الأثر فيما ترتب الأثر على التفاحة. لكن الأمر ليس كذلك، فهذا السفر الجليل لا أثر له في البرزخ، لأن العلم يظهر في الجبروت. بعبارة أخرى: إنَّ «بحار الأنوار» مشتمل على

---

١. المصدر نفسه، الشذرة الرابعة، المعرفة ١٣٥ و١٣٦.

٢. موسوعة حديثية ألفها العلامة محمد باقر المجلسي (المتوفى عام ١٠٧٠هـ) تقع في ١١٠ أجزاء.

العلوم الحقيقية والمعرفية، وإن مصباح البرزخ صغير لا يستطيع عرض أنوار هذا العلم، بل حتى مصباح الملكوت قاصر عن إظهاره، وإن مصباح الجبروت هو الذي يستطيع إبراز نور التوحيد. لذا فبحار الأنوار مسكوت عنه في المطّلع[١]، ونور الإحسان هو ما استطاع مصباح البرزخ أن يعرضه فأصبح محلاً للطف.

وينبغي أن ندرك أن ظهور باطن الأعمال مختلف بحسب عالم «البرزخ» وعالم «الملكوت» وعالم «الجبروت»، فمثلاً الإحسان والإساءة لأهل الدنيا يظهران في عالم البرزخ، من قبيل السرور والحزن اللّذين يدخلهما المرء على قلب إنسان آخر، ولكن ظهور الصفات والأخلاق وصفة العبادة التي هي رأس الصفات، إنّما تظهر

---

١. عالَم المُطّلَع، هو محضر الحق، الذي يقع فيه العبد مورداً لأحد نحوين من تجلّي الحق، يطّلع خلاله على سريرة المولى، فإما أن يكون مورداً لتجلّي الرحمة الجمالية، أو أن يكون مورداً للنقمة الجلالية... وهذه الحال هي أعظم الأحوال، وروي: «انه لما نزل قوله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ قال رسول الله ﷺ : ليتني أعلم متى يكون ذلك. فنزلت سورة النصر، فكان يسكت بين التكبير والقراءة بعد نزولها فيقول: سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ أستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه. فقيل له في ذلك، فقال: أما إنَّ نفسي نُعيَت إليّ. ثم بكى بكاءً شديداً، فقيل: يا رسول الله، أوتبكي من الموت وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر؟ قال: فأينَ هَوْلُ المُطّلَع وأين ضيقة القبر وظلمة اللحد وأين القيامة والأهوال؟ فعاش بعد نزول هذه السورة عاماً». (شذرات المعارف، الشذرة الخامسة، المعرفة ١٥٨).

في الملكوت والجنة الجسمانية، وأما المعرفة والعلم بالحقائق فتظهر في عالم الجبروت والجنّة العقلانية(١).

الحب المجازي

ما يشاهده المرء من أن طلاّب الراحة يرونها في ترك الأوامر، ويرون الحرّية في التمرّد على الرحمن، وهذا ناشئ عن الفطرة الثانية وعن سوء التربية والعادة، المؤدية بالإنسان إلى الإعراض عن الدين الفطري. وإن كان سيرجع يوماً إلى فطرته، لأنه لو رجع إلى حقيقته، لأدرك ان الحبيب الذي اتخذه لم يكن معشوقه، فظن أن غير المعشوق معشوقه، وسيأتي يوم يظهر له هذا الوهم، وحينئذ سيقول: ﴿**يا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشرِقَيْنِ...**﴾(٢)...

والمراد من الفطرة الثانية احتجاب فطرة العشق عن المعشوق الحقيقي، والانصراف إلى حب الشهوات وزخارف الدنيا وآمالها... من باب التباس «صغرى» النقص بالكمال، والشرّ بالخير، والقبح بالحسن، وإلاّ فلا وجود للخطأ في أصل «الكبرى»؛ إذ فيها أن الحب والعشق للكمال.

وقد تنحرف فطرة عشق الكمال، فتحرص النفس على تحصيل الشهوات وزخارف الدنيا ولذّات الطبيعة، من باب الاشتباه في

---

١. المصدر نفسه، الشذرة الخامسة، المعرفة ١٦٤.

٢. الزخرف: ٣٨.

التطبيق، فتحتجب عن المعشوق الحقيقي. ومن المعلوم أن ارتكاب النقص راجع إلى الاشتباه في تشخيص الكمال في موضوع النقص، وهذا الاشتباه راجع بدوره إلى احتجاب الفطرة[١].

إثبات المعاد بالفطرة (برهان فطرة العشق)[٢]

إن حب الحرّية وحب الراحة جناحان يطير بهما الإنسان إلى رحاب المعشوق لاكتساب الكمال. وتوضيح ذلك أنّ كل إنسان يعشق حاجاته المناسبة له، المتمثلة بالراحة بالتخلص من موانعها، وهذه هي الحرية. ومعلوم أن اللقاء بهذين المعشوقين لا يتم إلا إذا أُشبعت الحاجات المناسبة بمجرد الإرادة - المشيئة الصرفة، وإلاّ فلو كانت محتاجة إلى الحركة، فلا راحة حينئذٍ، ولو وجد مانع يحد من الإرادة، لانتفت الحرّية آنئذ، فإنك لو نظرت إلى أطراف العالم فلن

---

١. شذرات المعارف، الشذرة السادسة، المعرفة، ١٩٩ - ٢٠١. يواصل الشاه آبادي بحث هذا الموضوع بإعطاء عشر حالات لاحتجاب الفطرة.

٢. للشيخ العارف منهج فريد في إثبات كثير من المعارف الإلهية عن طريق برهان الفطرة وتجد هذا واضحاً في فصل: «الإنسان والفطرة» في كتابه: «رشحات البحار». يقول الإمام الخميني في كتابه «الأربعون حديثاً»، الحديث الأول: «وهذه فطرة أثبتها المشايخ العظام وحكماء الإسلام الكبار، خصوصاً استاذنا وشيخنا في المعارف الإلهية سماحة العارف الكامل (الميرزا علي الشاه آبادي) روحي له الفداء، وأثبتوا بها الكثير من المعارف الإلهية..».

تجد حصولا مريحاً للحاجات إلاّ قليلاً، ولو حصل فمع المتاعب والمشاق الكثيرة،[١] وعليه نقطع بأن نيل الراحة «مستحيل الوقوع»، وهكذا الحرية بسبب تمرّد أجزاء العالم وعجزنا عن إنفاذ مشيئتنا في تحقيق غايتنا. وبالقطع بعدم نيل الراحة وكذلك الحرّية، ومن خلال مراجعة الفطرة العاشقة لهما، تجد أن عشق الراحة والحرية يملأ وجودك، بنحو لا يعرف الفتور والهدوء. ولأن الفطرة معصومة عن الخطأ في حكمها، فستقطع بوجود عالم أوسع من هذا العالم، تتحقق فيه الحرّية والإرادة في حصول الراحة، وقد أخبر تعالى عن حاجة الفطرة بقوله: ﴿**فِيْها ما تَشتَهِيهِ الأنْفُسُ وتَلَذُّ الأعْيُنُ**﴾[٢]؛ حيث الحرّية التامّة والإرادة والراحة والتلذذ في عالم الملكوت، لا في عالم الملك. ومن هنا جاء في الأثر: «خُلِقتُم للبقاءِ لا للفناءِ»، والبقاء يتحقق في المعاد في عالم ما بعد الموت؛ حيث عالم الجنة واللذة الخالدة.

إذن، فالالتفات إلى فطرة عشق الراحة والحرّية، وما عليه هذا

---

١. وللإمام الخميني (عليه الرحمة) تعبير شبيه بهذا الكلام، جاء في الحديث الأول من كتابه: «الأربعون حديثاً»؛ إذ يقول: «إن تحقق الآمال ووصول أي شخص إلى أمانيه أمر مستحيل في هذا العالم، فإن هذا العالم هو «دار التزاحم» وإن مواده تتمرد على الإرادة...».

٢. الزخرف: ٧١.

العالم من ضيق وموانع تحول دون نيل العاشق لمعشوقه، يجعلك تقطع بعدم وجود هذا المعشوق في عالم الملك. ويسوقك إلى الإعراض عن عالم الدنيا والتخلي عن الأهواء النفسية التي لا طائل منها، وستغدو هموم النفس أوهاماً. ولأنك شعرت بالعشق وأدركت ان معشوقك في عالم آخر، ستُقبل على الآخرة، [١] وهذا ما فعله الأنبياء والأولياء إذ حلّقوا بهذين الجناحين حتى بلغوا بأنفسهم ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾[٢] [٣].

---

١. وقد استخدم المرحوم الشاه آبادي البرهان نفسه في إثبات المعاد في كتابه الآخر: «رشحات البحار»، فقال هناك: «من البديهي أن الإنسان، بما هو إنسان عاشق للراحة واللذة والمطلقة، أي اللذة التي لا يسبقها ولا يصحبها ولا يلحقها تعب أو ألم، ولا وجود للذة كهذه في هذا العالم الصغير والمحدود، لأن كل لذة يمكن تصورها في هذا العالم هي إما مسبوقة بألم، أو مصحوبة به، أو ملحوقة به، أو مسبوقة ومصحوبة به، أو مصحوبة وملحوقة به، أو مسبوقة وملحوقة به، أو مسبوقة ومصحوبة وملحوقة به (فهي سبع حالات)، وبعبارة أخرى: إن الراحة واللذة المطلقة غير مخلوقتين في هذا العالم. وعليه فالفطرة المعصومة عن الخطأ تقضي بكون المعشوق متحقّقاً في عالم الوجود، فلا بد إذن من وجود عالم آخر يصل فيه الإنسان إلى معشوقه...

٢. القمر: ٥٥. الجدير ذكره أن مجموع أعداد حروف هذه الآية الشريفة يوافق سنة وفاة الشاه آبادي.

٣. شذرات المعارف، الشذرة السادسة، المعرفة ١٩٦ – ١٩٧.

الوصول إلى المعشوق بفناء العاشق

إنّ السر في أن الآية الكريمة: ﴿**فَأَقِمْ وجْهَكَ للدِّينِ**﴾[1] أمرت بتوجُّه القلب إلى الدين الذي هو رحاب الله، وليس إلى المعشوق الحقيقي ذاته (الله)، هو أن الوصول إلى المعشوق يكون بفناء العاشق، وهذا الأمر متأخر بالذات عن إدراك المعشوق حضورياً...

إذن، يتوجب إقامة الوجه لرحاب المعشوق؛ ومن هنا نعلم أن الوصول إلى الحقيقة لا يكون إلاّ عن طريق الشريعة[2].

حضور القلب

كما تشاهد أن جميع أرباب الصنائع والحِرَف وأهل الملذّات والمعاملات والعادات يؤدُّون أعمالهم بحضور القلب، لأن لكل قلب محبوباً يهيم به، فهل يحرم أهل العبادة وحدهم من القلب! مع أنّ أُسَّ أساس العبادة والثناء قائم على حضور القلب. وفي الواقع، إن جميع العاملين ينذرون العبّاد من خلال عملهم قائلين: إننا لم نؤد عملا من دون حضور قلب، فهل عبدتم الله طوال عمركم بحضور قلب أو لا؟[3].

---

١. الروم: ٣٠.

٢. شذرات المعارف.

٣. شذرات المعارف، الشذرة الرابعة، المعرفة ١٤٦.

حبُّ القلب

إن المحافظة على الأخوَّة والمودّة والألفة القلبية أصعب من إيجادها... ومن الممكن أن ينجذب الإنسان لوهم أو يعرض لمجرّد إساءة؛ وعلى هذا، فمن شروط الأخوَّة حفظ المودّة، إذ قد يرد على الصديق ما يوجب الإعراض عنه، ولكن ثبات القدم في الأخوَّة أمر مطلوب...

وبشكل عام، إن حفظ الأخوَّة أمر يلازم الإغماض وغض النظر، وعكسه يوجب الإعراض والانصراف.

لذا ينبغي أن يراعي الصديق مقام الحب القلبي للصديق، ليغض النظر من خلال ذلك عن إساءاته، لأننا لو قارنا بين العمل والحب لوجدنا أن الحب أهم، فبالحب يُعفى عن الإساءة وتُحفظ المودّة لأنها الأهم، فلا تؤثّر الإساءة في صرف النظر عن الحب.

لذا، فلو صدر من أخي ما قد يخالف الأخوة والصداقة، فإما يجب حمله على محمل الصحة في عمله، أو حمله على الغفلة، وإلاّ غض النظر عنه، فلا يعرض، ومن بلغ هذا الشأو، فقد تخلّق بواحدة من أخلاق الله، لأن الله «وَدود»، فهو يتجاوز عن إساءات العباد ومعاصيهم بالنظر إلى الإيمان في قلوبهم، لا بالنظر إلى سوء أعمالهم ومعاصيهم. فمن تجاوز عن إساءة من أخيه قويت أخوته وصار مظهراً لتجلّي الودود.

فقد جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيُّما مسلمَين

هَاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلا كانا خارجَين من الإسلامِ و لم يكنْ بَينهُما ولايةٌ، وأيُّهما سبق إلى كلام أخيه كان السابقَ إلى الجنةِ يومَ الحساب»[١] [٢].

تشتُّت المسلمين

(ومن الأسباب المُمْرِضة للمسلمين) تفرّقهم وتمزّق خيوط الأخوة بينهم لاختلاطهم بالأجانب، ما أدّى إلى اضمحلال أمور المعاش لديهم وشؤون المعاد؛ فحتى ظهور الجماعات المختلفة المسالك موجب للضعف والانحلال فضلاً عن الانفراد[٣]، وكلما تفاقمت الحالة الانفرادية اشتد الضعف والانحلال، إلى أن تصل الحالة إلى الاضمحلال التام. وقد أدرك الأعداء خطورة ذلك فأسرعوا لبث الفرقة فينا، وقد نجحوا إلى حد كبير، حتى لنكاد نخسر أساس حياتنا الدينية والدنيوية، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿**خَسِرَ الدُّنْيا والآخِرَةَ ذلكَ هوَ الخُسرانُ المُبِينُ**﴾[٤] [٥].

---

١. منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، زين الدين الجبعي العاملي (الشهيد الثاني)، ص٣٢٦.

٢. شذرات المعارف، الشذرة الرابعة، المعرفة ١٢٣ - ١٢٨.

٣. كحالة من الاستبداد الفكري الذي يمارسه الفرد (المترجم).

٤. الحج: ١١.

٥. شذرات المعارف، الشذرة الأولى.

الوصايا الأربع عشرة

... والحاصل، إن الاغترار بالحقانية والغرور بالحياة العارية[1] واليأس من ظهور السعادة وتمزق المسلمين وانعدام بيت المال، (هذه العوامل الأربعة جميعها) أدت إلى تعطيل القوى الفعّالة لدى المسلمين، وحرَمتهم من بلوغ السعادة الدينية والدنيوية، ولكن علّة العلل هي الجهل بأهداف الإسلام...

لذا فإن على المسلمين وزعمائهم أن يتحملوا المسؤوليات الآتية:

١- ترغيب الناس بالعلماء الأتقياء، وتشجيع طلاب العلوم الدينية، وتحسين أحوالهم المعيشية، وإنشاء المؤسسات لتعليم المعارف والأخلاق الأحكام الإسلامية التي هي أصول الإنسانية.

٢- تعزيز العلاقات بين العلماء، وهذا هو الطريق الوحيد لحفظ الإسلام والمسلمين، ففي ظلال اتحاد العلماء يسير أتباعُهم في طريق واحد، حيث يقوم الجميع لله وحده، ويعمل الجميع على نشر العمل الصالح والأخلاق الحسنة والعقائد الحقة بين الناس ومحاربة الرذائل والأفكار الباطلة وحماية المجتمع من آفاتها.

---

١. عبر عنها بالعارية لأنها ليست حقيقية وغير دائمة. ينتقد الشيخ العارف أسلوب حياة المسلمين الذي يعتمد على كثير من الصناعات والتكنولوجيا الأجنبية من دون التفكير في تعلّم كيفية تصنيعها، والاقتصار على استهلاك هذه السلع والمنتجات فقط، مشبهاً هذا الأسلوب الحياتي بحياة حيوان ذبيح في لحظاته الأخيرة بعد ذبحه على يد القصاب، حيث يضرب بيديه ورجليه.

٣- تأسيس مجلة دينية من أجل نشر الأهداف العليا للإسلام والتعريف بنشاطات الجمعية[1].

٤- الالتزام بالآداب الشرعية، والانتهاء عن المحرّمات، وتعظيم شعائر الإسلام، والحضور في المحافل والمجالس الإسلامية.

٥- الاقتصاد في أمور المعاش وترك العادات الضارّة في الإنفاق، وهذا أهم مقاصد الإسلام.

٦- تأسيس شركة وفق القواعد العلمية من أجل إنعاش التجارة المشروعة والصناعة والزراعة والترويج للأزياء والأقمشة المنتجة في البلاد الإسلامية.

٧- إيجاد أساس للقروض الحسنة ومكافحة القروض الربوية التي تجرّ الخراب في الدنيا والدين.

٨- توفير فرص للاشتغال والعمل للعاطلين في الجمعية وتقديم المعونات للضعفاء والفقراء.

٩- الدفاع عن حقوق أفراد الجمعية ومواجهة الانتهاكات.

١٠- الحضور في المناسبات والاشتراك في جنائز المسلمين وسائر

---

١. أصدر الشيخ الشاه آبادي منهاج العمل هذا في وقت كان المؤمنون مقتصرين في نشاطاتهم الدينية على الأساليب التقليدية، ولم يكن هناك من يفكر في تأسيس جمعية أو في العمل الجماعي أو في إصدار مجلة دينية. ومن هنا فقد كان الشاه آبادي يولي اهتماما خاصا لاستخدام الأساليب الحديثة في نشر الدين والدعوة إلى الإيمان، وإن كان أكثر مواد هذا المنهاج لم ينفّذ في حياته.

مواقفهم.

١١- الحضور مرة كل اسبوع في مركز الجمعية من أجل اكتساب العلوم الدينية والاشتراك في الحوارات الإسلامية.

١٢- التزام كل عضو من الأعضاء (المعاهدين) بهداية فرد للعمل بالمواد المذكورة.

١٣- في حالة بروز اختلاف بين الأعضاء يتوجب الرجوع إلى الهيئة الرئاسية، للتصالح الذي هو من أهم المقاصد الإسلامية، وإذا تعذّر الفصل في ذلك، يرجع إلى المحاكم الشرعية للفصل في التراع حسب موازين القضاء، والرجوع إلى غير ذلك يوجب الخروج عن الجمعية.

١٤- تشكيل بيت مال من الزّكاة والخمس وغيرهما، وفق قواعد تحول دون وقوع الحيف والانحياز، بحيث يجري توزيع الحقوق بطريقة عادلة للمدرّسين والطــلاب والمبلغين وفق قاعدة: الأهم فالأهم [١].

الإسلام دين سياسي

تشتمل معظم أحكام الإسلام على السياسة، من قبيل الطهارة والصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد، لذا يمكن القول تحقيقاً: إن

---

١. شذرات المعارف، الشذرة الأولى.

دين الإسلام دين سياسة، وأعظم السياسات الرامية لتحقق الأهداف العليا تتلخص في تدبيرين:

الأول تحصيل العِدّة، والثاني إعداد العُدّة. ولأن الهدف متعلّق بالنوع، لذا يُقدّم تحصيل العُدّة على العُدّة.

وحينئذ نقول: «لا عِدَّةَ إلاّ بالأُخُوَّة»، لأنه مهما تكاثر العدد فإنه لا خير فيه ما لم يرتبط بخيط الأخوَّة؛ ولأنه إذا اختلفت الطرق وتباينت الجهات فلن يصل المجموع إلى هدف واحد، وهكذا المسبحة، فان حبّاتها متفرِّقة ما لم تنتظم بالخيط، فإذا اتحدت بالخيط كانت حركة كل منها باعثاً على حركة الأخريات.

ولذا لم يفد النبي ﷺ في صدر الإسلام من كثرة من آمن به لتحقيق هدف الإسلام حتى ربط بينهم برباط الأخوَّة، وجعل من تلك الكثرة وحدة... وهكذا النسيج الذي يتألف من خيوط طويلة عديدة فإنَّه لا ينفع في الستر والوقاية حتى تُعزَّز تلك الخيوط الطولية بخيوط عرضية، ومن هنا ندرك أن الأخوَّة من الأحكام السياسية لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية [1].

ماذا تريد مني؟

لو رجعنا إلى فطرتنا، لوجدناها تعشق الكمال بل تعشق الخير المطلق، بحيث لو حازت ما في الكرة الأرضية لتطلّعت إلى غيرها، ولو

---

١ .شذرات المعارف، الشذرة الثانية، المعرفة ٤، ٥، ٦.

احتملت أن الكمال في القمر لطلبته، ولو حازت ما في القمر لتطلّعت إلى كوكب آخر. ولو أن الإنسان حاز كل ما في عالم المُلك لالتفت إلى ما بشّر به الأنبياء عن وجود شيء أكثر كمالاً مما هو في عالم الملك، وهو عالم الملكوت، ولرجاه أيضاً، حتى لو لم يكن يؤمن برسالة الأنبياء. وهذه التأملات في الفطرة تكشف لنا عما يأتي:

أوّلاً: إن كل ما نحصل عليه لا يمثل معشوقنا الحقيقي، ذلك ان معيار المحبوب الحقيقي هو شعور المرء بالطمأنينة والاستقرار النهائي عند الوصال، لأن غاية العاشق هي الوصول إلى معشوقه. والإنسان ما إن يحصل على شيء حتى يتمنى الأفضل منه وينطلق نحوه، فنكتشف أن ذلك الشيء لم يكن المعشوق الحقيقي.

ثانياً: إنه لا نهاية لهذا العشق، لأن الإنسان يتحرك دوماً من الجميل إلى الأجمل، ومن الكامل إلى الأكمل، حتى لو كان وجود ذلك الأجمل والأكمل مجرد احتمال (غير مقطوع به).

ثالثاً: إن هذا الظمأ الفطري لا يعرف الارتواء حتى لو سلك جميع المسالك ورمى بنفسه في المهالك.

وبعد هذه العودة إلى الفطرة، تأمل فيها واسألها: «يا ذاتي وحقيقتي، لقد نهلت من الكمال والجمال وما ارتويتِ، فما الذي تريدينه مني؟»، عندها ستسمع نداء الفطرة يجيب: «إنني أعشق الكمال المحض والجمال الحق».

ولأن العشق من الصِّفات الإضافية (يحتاج إلى محل)، ويقتضي

وجود المعشوق (الفعلي)، فلا بدَّ، وطالما أنّك عاشق بالفعل من إقرارك بوجود معشوقك الفطري في عالم الوجود، كما يقول سيدنا [الحسين عليه السلام]: عَمِيَتْ عَيْنٌ لا تَرَاكَ.

الولاية المطلقة

بما أن المؤمنين المتديّنين لا يتسنّى لهم الوصول إلى مقام التوحيد «الشهودي» و«التحققي»، ولا يحظون بهذين المقامين العاليين، يتوجَّب عليهم إذن مبايعة مقام «الولاية المطلقة» المجسِّدة للتوحيد الشهودي والتحقّقي والحائزة للقرب الفرائضي والنوافلي الإلهي، والفانية هويّتُها في حقيقة الحق، ليتشخّص توحيدهم البرهاني بتوحيد شهودي ويكتمل إيمانهم. وقد جاء في الأثر عن المعصوم: «بِنا عُرِفَ اللهُ وبِنا عُبِدَ اللهُ». أي، كي تتحقق البيعة للظهور الإطلاقي للرب والجلوة الأكمل له التي هي محكومة بحكم الحق، ويتشخص معروف السالك بوساطة البيعة لمقام الولاية المطلقة والنبوة المطلقة التي هي ظهور أتم للذات المقدسة والجلوة الأكمل لذات الباري تعالى، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾[1][2].

---

١. الفتح: ١٠.

٢. رشحات البحار، محمد علي الشاه آبادي ، ص١٠ و١١، من كتاب الإيمان والرجعة.

تاسيس الشركة المخَمّسة[١]

إن الطريق لتحقيق هذه الأهداف الكبرى[٢] هو في تأسيس الشركة المخَمّسة، فالسادة المرتبطون بـــ «الناحية المقدسة» يخصّصون جزءاً من أموالهم ويضعونها في حساب الشركة. ليتم تخميس أرباحها بعد احتساب مصاريف الشركة. يخصص خمس الربح للقروض الحسنة حسب قانون محدد. وخمس آخر من الربح الذي هو من الواجبات الإلهية يخصص في باب الإعانات ونشر الإسلام حسب الموازين المقررة، أما الاخماس الثلاثة الاخرى فترجع إلى ذات الشخص، حيث له الصلاحية التامة في أخذه أو التنازل عنه ليُضم للشركة ويكون جزءاً من رأسمالها.

أقسام الأموال التي يمكن إدخالها في حساب الشركة، كما يأتي:

الأول: دفع ثلث ما يملك إلى الشركة دفعة واحدة أو تدريجياً قبل الوفاة.

---

١. ألــف الشــاه آبــادي رسالة الشركة المخمسة على شكل رسالة مستقلة، كما أُلحقت خلاصة لها بكتاب شذرات المعارف، إلا أن أيّاً منهما لم تطبع، و لم تدرج في الطبعات السابقة لشذرات المعارف، وقد ذكرنا هنا مقتطفات منها على أمل أن تنشر كاملة في الطبعة الخامسة من كتاب «شذرات المعارف».

٢. يقصــد بها المواد الخمس للتعاونيات التي تحدث عنها بالتفصيل في الشذرة الثانية من كتاب شذرات المعارف .

الثاني: الوصية بثلث ماله أو بعضه.

الثالث: يجب أن تخصَّص المنافع الباقية من الأوقاف الجديدة بعد نفقات الموقوفة ومخصصات التولية، للقروض الحسنة ونشر الإسلام وفق قاعدة: «الأهم فالأهم» على أن لا يكون مخصصاً في مجال ضئيل النفع.

الرابع: تكون الشهرية حسب الممكن، ومن الممكن أن تكون عُشر النفقات اليومية فلا أثر لها، حتى على الفقراء.

الخامس: تجمع الأموال التي تعطى للأطفال – والتي ينفقونها عبثاً – في صناديق توفير، لتتمّ إضافتها إلى أموال الشركة نهاية كل شهر، ويسلّم ذلك الطفل وصلاً من الشركة موقعاً باسمه يشجعه على ذلك.

قواعد الشركة المخمّسة

الجهة الأولى: في ما يخص أصل الشركة، وهي كما يأتي:

١- تكتسب هذه الشركة اعتبارها من ناحية كونها تدار من قبل مجموعة، أما المؤسسات التي تشيع فيها الخيانات وانتهاك حقوق الناس فذلك ناشئ من الحالة الفردية في إدارتها، حتى البنوك التي تُعد أكبر شركات العالم هي قابلة للفساد، لأنها تدار بشكل فردي [بالنسبة للايرانيين]، بالرغم من أن السياسة والقوانين التجارية تحول دون وقوع الاختلال، لكن الشركة ليست قابلة للانحلال والاختلال بسبب كونها مؤسسة بشكل جماعي.

٢- مع وجود الاعتبار المذكور فإن ضمان المبالغ المدفوعة ستكون في عهدة رئيس الناحية المقدسة الإسلامية إلى حين حصول اطمئنان الشركاء وثقتهم.

٣- للرئيس منح الوكالة التامّة من قبل كل واحد من الشركاء.

٤- تتولى الهيئة التنفيذية الوصاية بقسمي الإقراض والإعانة ومنافعها في حالة الوفاة، وتحديد مقدار الثلث أو ما إذا كان أقل من ذلك، وكذا القيمومة على الأقسام الثلاثة الأخرى، كلاًّ أو بعضاً، إذا كان الوارث صغيراً. وإلاّ أنيطت القيمومة بكبار الورثة أو بمن يقوم مقامهم، ولكن للهيئة التنفيذية صلاحية التقسيم والتفريق وكذا التوكيل والتوصية للغير.

٥- يجب أن تكون جميع الشؤون تحت إشراف الهيئة العامّة ومصادقتها.

٦- جميع الأموال المتعلّقة بالشركة، من سهم الإمام عليه السلام وسهم السادة والزكاة والفوائد الحاصلة من مبالغ الإعانات التي يدفعها جميع الشركاء، تؤلّف جميعها بيتَ مال سنويّاً، ليصرف حسب تشخيص مجتهد عادل في مجال نشر الدين الإسلامي، وضبط المصروف في سجل يُثبَّت فيه كل ما يرد وما يخرج في إطار الموازين الشرعية.

٧- سهم الشركة في كل شهر «قران[1] واحد»، ويحق لكل فرد

---

١. العملة الإيرانية آنذاك وتعادل الريال الإيراني في الوقت الحاضر.

ان يشترك بما يشاء من الأسهم على عدد أولاده وأحفاده وأفراد أسرته، وله أن يستلم وصلاً واحداً باسمه أو عدة وصولات.

٨- يجب أن تكون جميع المبالغ المدفوعة موقّعة من قبل الأمين، ويمكن بعد انتهاء السنة استعادة جميع سندات الاستلام وتوحيدها في سند واحد بجميع الأموال المدفوعة.

٩- يجب أن يكون رئيس الناحية المقدسة في كل مرحلة مجتهداً عادلاً يحظى بتأييد أهل الخبرة.

١٠- يحق للرئيس أن يعيِّن له نائباً يقوم بالأعمال، ولا يشترط في النائب أن يكون مجتهداً.

الجهة الثانية: في ما يخص شؤون الأسهم (رأس المال)

اعلم أن الأرباح، وإن كانت نسبتها تابعة لنسبة الأموال، لكن بما أن إدخال هذه الأموال في رأس مال الشركة يتم بصورة تدريجية، لذا فإن ذلك سيكون مبعثاً للاختلاف. وعلاج هذا الاختلاف يتوقف على بيان صور الاختلاف، وهي:

الصورة الأولى: ما ينشأ من الاختلاف في مصارف الأسهم مع تطابق الشركاء في وقت الأداء. فلو اشتُريَ شيء بمال شخص، واشتُري شيء آخر بمال شخص آخر. فلكي تحصل الشركة في مثل هذه الحالة لا بد من جمع المبلغين، ثم يقسم المبلغ الكلي على المبلغ الأقل من المبلّغين ليُعطى كلٌّ من المساهمَين حصته على حسب

سهمه. فمثلاً لو كان المبلغ الأقل توماناً واحداً والاكثر سبعة تومانات، فسيكون المجموع ثمانية، فلو كان عدد الشركاء ثمانية أو أي عدد فرض، أُعطيت سبعة أقسام منه لسبعة شركاء، بإزاء الثمن الأكثر المقوّم على سبعة تومانات.

الصورة الثانية: الاختــلاف في الصــرف مع تطابق الشركاء في زمان أداء مال الاشتراك:

١- ما يؤخذ من الجميع بحصة معلومة.

٢- ما يؤخذ من بعضهم بحصة معلومة.

ففي هاتين الصورتين يخرج الربح من المصروف ويقسم على الأسهم التي استثمرت.

٣- ما يؤخذ من الجميع بحصة غير معلومة.

٤- ما يؤخذ من بعضهم بحصة مجهولة.

ففي هاتين الصورتين يعالج الاختلاف الحاصل عن طريق الصلح، فيخصم من الجميع ثم يقسم عليهم جميعاً.

الصورة الثالثة: الاختلاف في الربح مع عدم تطابق زمان الأداء وعدم تطابق مقدار السهم. مثلاً دفع شخص خلال السنة ١٢ ريالاً، ودفع آخر في الشهر الأخير ريالاً واحداً وهكذا. وطريق علاج هذه الحالة هو التصالح بقسم لا يؤدي إلى الحيف والإجحاف.

ملاحق

الملحق الأول: في مرآة الصور

الملحق الثاني: اجازات الاجتهاد والرواية

الملحق الثالث: النسخ المخطوطة

الملحق الرابع: وثائق أخرى

لم أر طوال حياتي روحاً أرقّ من روح الشيخ الشاه آبادي

الامام الخميني

الملحق الأول

في مرآة الصور



المرحوم آية الله العظمى ميرزا محمد جواد الاصفهاني الحسين آبادي رحمه الله

والد المرحوم آية الله العظمى ميرزا محمد علي الشاه آبادي

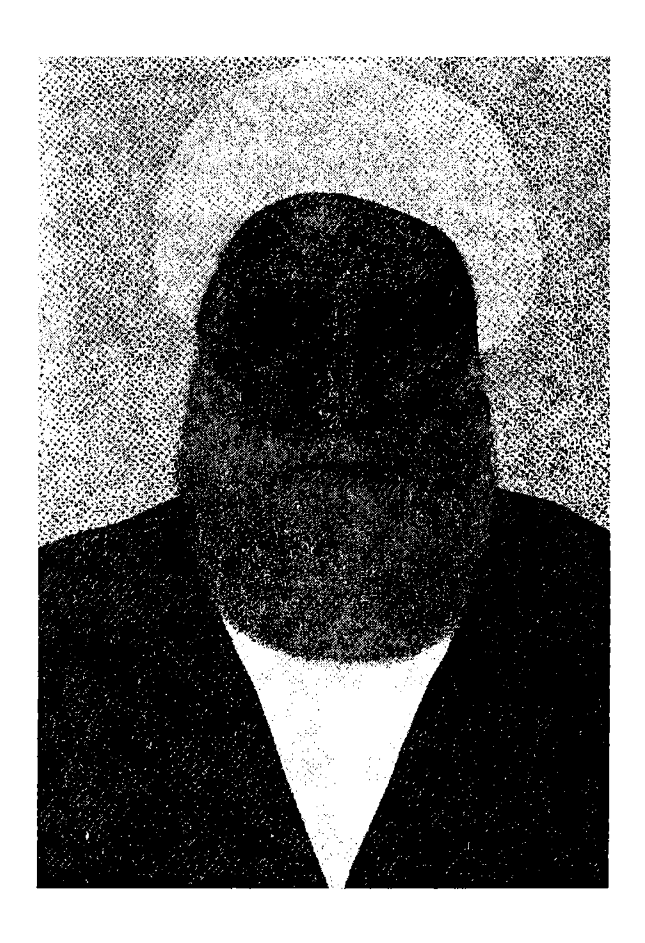
ولد في حدود ١٢٤٠ هـ وتوفي ١٣١٢ هـ



المرحوم آية الله العظمى الشيخ احمد البيد آبادي رحمه الله

نجل المرحوم آية الله العظمى ميرزا محمد جواد الاصفهاني الحسين آبادي

ولد: ١٢٧٩ هـ وتوفي: جمادى الثانية ١٣٥٧ هـ



المرحوم آية الله العظمى ميرزا علي محمد الشريف رحمه الله

نجل المرحوم آية الله العظمى محمد جواد الاصفهاني الحسين آبادي رحمه الله

ولد: ١٢٩١ هـ وتوفي ١٣٧٣ هـ



تعود هذه الصورة الى السنوات ١٣٠٦ ــ ١٣٠٨ هــ
المرحوم آية الله العظمى ميرزا محمد جواد الاصفهاني الحسين آبادي رحمه الله والى جانبه ولداه: علي محمد الشريف ومحمد علي الشاه آبادي



من اليسار:

١ ــ الشهيد آية الله السيد حسن مدرّس.

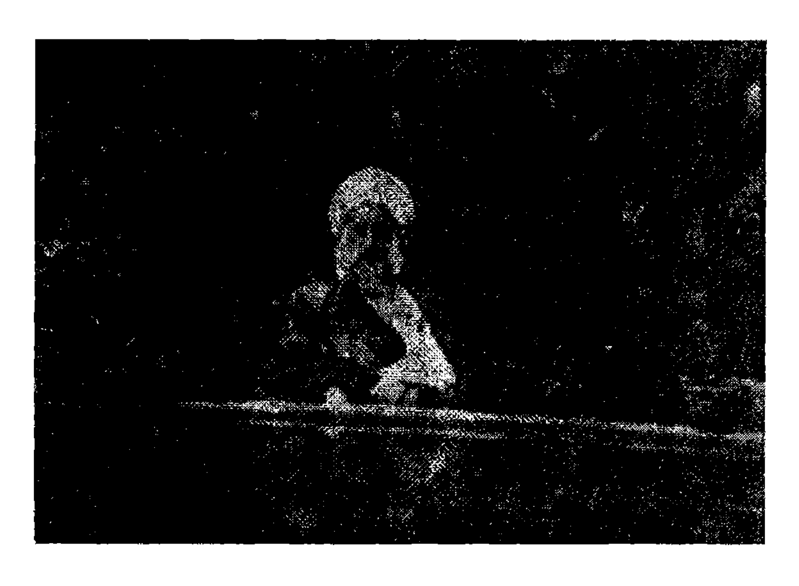
٢ ــ المرحوم آية الله سيّد العراقين.

٣ ــ المرحوم آيةالله العظمى ميرزا احمد (المجتهد) البيد آبادي.

ويظهــر في الصــورة نجل الشيخ أحمد البيد آبادي الاكبر وكذا الحــاج مرتضى السيفي. التقطت هذه الصورة عام ١٩٣١م في مدرسة ((جهار باغ)).



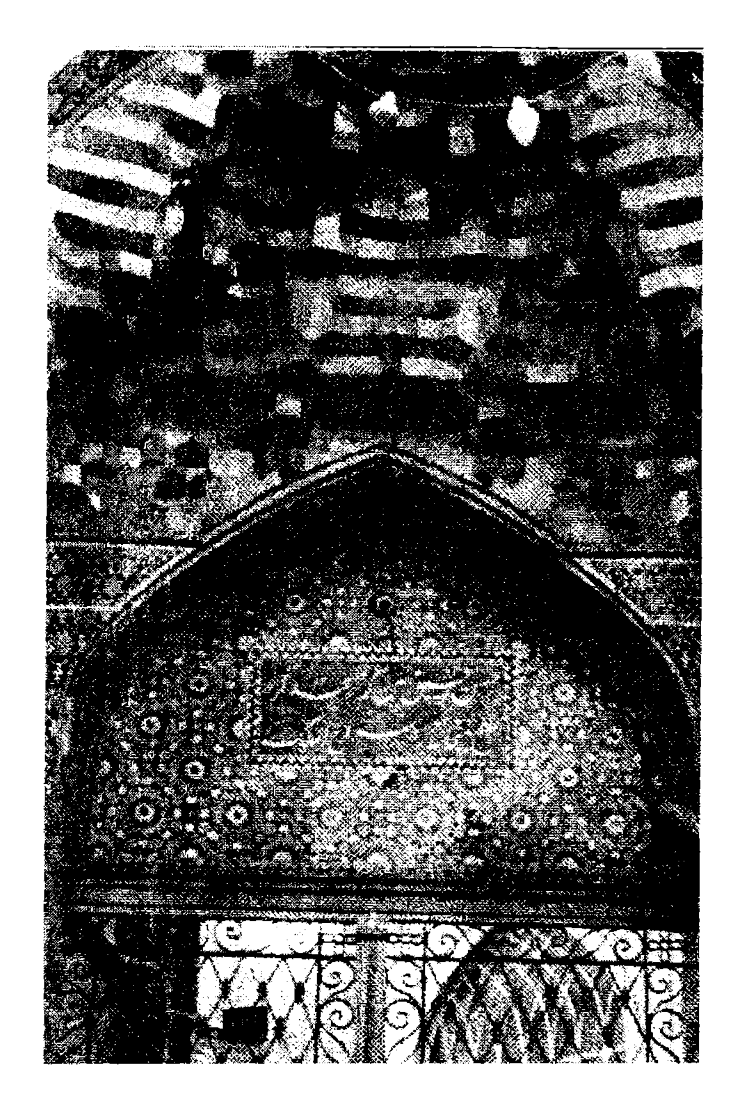
المرحوم آية الله العظمى ميرزا محمد علي الشاه آبادي رحمه الله
ونجله الاكبر المرحوم آية الله آقا ميرزا محمد جواد الشاه آبادي



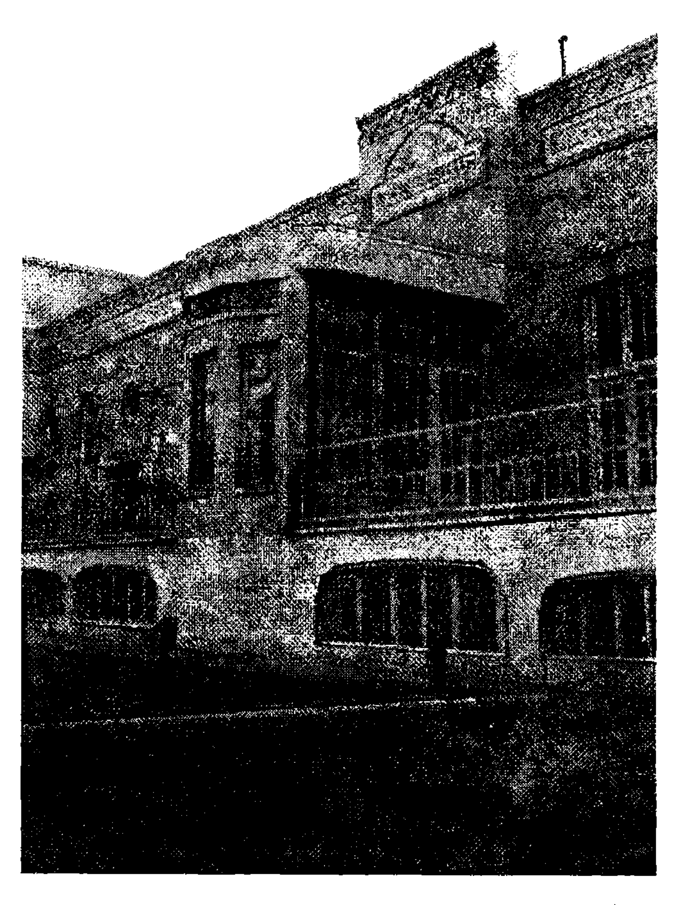
المرحوم آية الله العظمى ميرزا محمدعلي الشاه آبادي رحمه الله

ولد: ١٢٩٢ هـ وتوفي ١٣٦٩ هـ

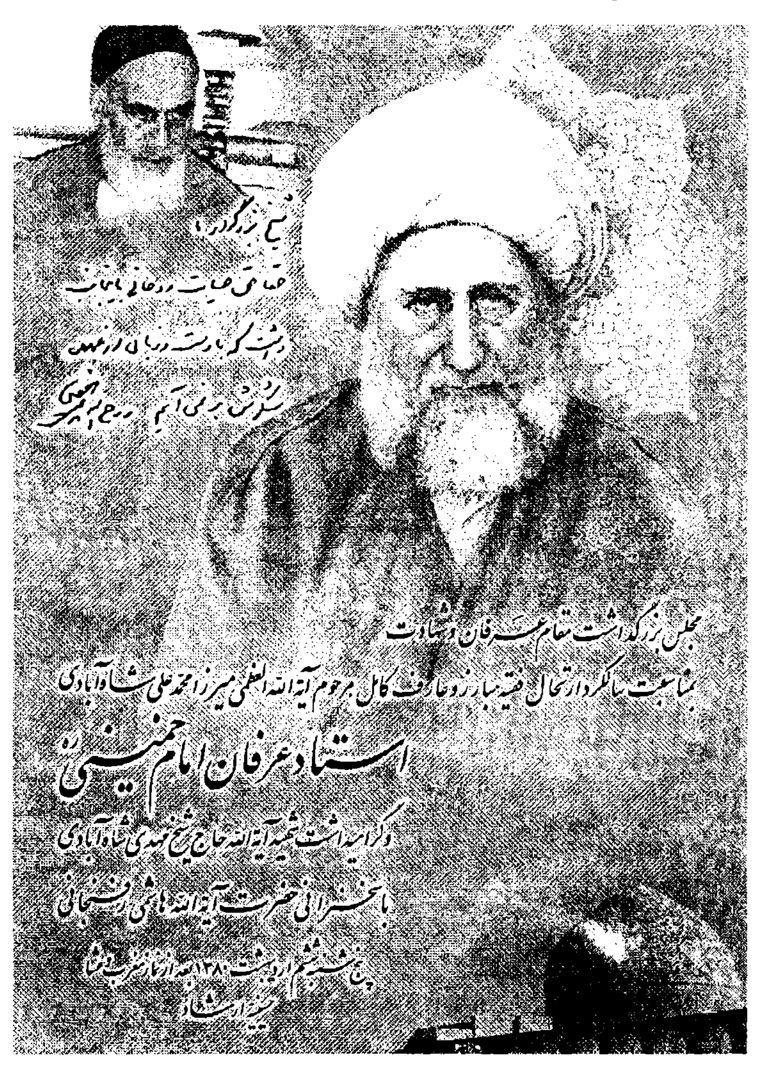
جالساً الى جانب حوض في مترله



جانب من مسجد سرج الملك الواقع في شارع أمير كبير



مصلّى المرحوم آية الله العظمى الشاه آبادي في مسجد ((جامع بازار))



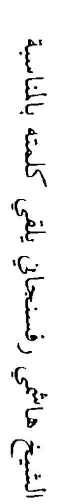
لوحة خاصّة بالحفل التكريمي الذي اقيم بمناسبة الذكرى السنوية لرحيل العارف الكامل والفقيه المجاهد الاستاذ الامام الخميني في العرفان الشيخ محمد على الشاه آبادي





جانب من الحضور في حسنية ارشاد

٢٦/ ٤/ ٢٠٠١م



الشيخ هاشمي رفسنجاني يلقي كلمته بالمناسبة





جانب من الحضور

الملحق الثاني

اجازات الاجتهاد
والاجازات الـروائية



الإجازة الروائية التي منحها المرحوم محمد حسن النجفي صاحب كتاب الجواهر للمرحوم آية الله العظمى الميرزا محمد جواد الاصفهاني الحسين آبادي (والد الشاه آبادي)

(ص١)

ص ١

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي رفع منازل الرجال بنشر الرواية ...

[illegible]

ص٢

وبحار الانوار لمولانا المجلسي [illegible] وغيرها مما حويناه من الرسائل والاجوبة للمسائل

مع سائر كتب الحديث [illegible] والرجال [illegible] اجازتنا عن مشايخنا الثقات

وعلمائنا الماضين عليهم رحمة الله [illegible] الشيخ [illegible] الاسعد الاوحد

العالم العلامة [illegible] الفضل والنبل [illegible] مفتاح الكرامة السيد الاستاذ

[illegible] مولانا [illegible] السيد محمد جواد العاملي [illegible] النجفي عليه

رحمة الله الملك العلي [illegible] من جماعة من مشايخه وفضلاء عصره

بأسانيدهم المتصلة [illegible] السيد [illegible]

الاسعد الاوحد [illegible] الائمة [illegible] العلماء [illegible]

[illegible] الله [illegible] الكلام [illegible]

والفقهاء [illegible] العلامة [illegible] صاحب الكرامات

ابي [illegible] السيد [illegible]

الامين [illegible] الطباطبائي [illegible] عن اسناد

الاستاذ [illegible] الاكمل الآقا الشيخ [illegible] المحقق العلامة [illegible] في

القرن الثاني عشر [illegible] مولانا الامام الشيخ آقا محمد باقر [illegible] قدس الله [illegible]

[illegible] الاجل الافضل [illegible] الاكمل عن [illegible] احمد بن الحسن [illegible]

المحقق العلامة جمال الدين محمد بن [illegible] بن جمال الدين [illegible] الخوانساري [illegible] والعلامة الشيخ جعفر [illegible]

عن الامام [illegible] العلامة المجلسي [illegible] اسانيده [illegible] تعالى [illegible] الشيخ

الاعظم [illegible] العلامة [illegible] مولانا محمد باقر [illegible] بالسند المذكور ويروي عن

بحر العلوم والمعالي [illegible] الامام الهمام السيد

الاكبر الاعظم السيد محمد مهدي بن السيد [illegible] الطباطبائي النجفي [illegible] قدس الله

روحه [illegible] عن اسناد [illegible] الائمة الاطهار [illegible] الطاهرين [illegible]

[illegible] الشيخ [illegible] الشيخ [illegible] العاملي عن الشيخ

(ص٢)



(ص٣)

وقد حررت بتاريخ ١٢٦٥ هـ أي قبل عام واحد من وفاة المرحوم صاحب الجواهر / وكان عمر الحسين آبادي آنذاك ٢٥ سنة

نص اجازة الاجتهاد من صاحب الجواهر رحمه الله

الى الميرزا محمد جواد الاصفهاني الحسين آبادي

ويلاحظ في الاسفل اعادة تحرير لاجازة المذكورة

بسم الله الرحمن الرحيم



اجـــازة الاجتهاد بقلم المرحوم آية الله العظمـــى المـــيرزا محمـــد تقي الشيرزاي للمرحوم الميرزا محمد علي الشاه آبادي

المعروف ان الشيخ الشيرازي لم يمنح اجازة الاجتهاد الاّ لستة نفر فقط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلوة والسلام على خير خلقه واشرف بريته محمد وآله الطيبين الطاهرين
ولعنة الله على اعدائهم اجمعين الى يوم الدين وبعد فان من اجل نعم الله جل شانه على عباده ان انتجب لهم
رسلا مبشرين ومنذرين اصلاحا لامور معاشهم ومعادهم ثم اكمل الدين واتم النعمة باقامة الائمة
الهادين والخلفاء الراشدين حملة دينهم القويم وقرناء كتابه الكريم وقد وصلت نيابتهم بعلمهم المنتهي
سلسلة العلماء الربانيين اتماما للنعمة واقامة للحجة فهداهم سبيل شريعته بجهادهم ووفقهم لمعرفة احكامه
مبلغ جهدهم واجتهادهم ورفع بمساعيهم المشكورة في الفضل درجاتهم وقد جعل الله تعالى بفضله
من سلسلة العلماء الشريفة الشيخ الاجل العالم العامل التقي النقي الفاضل عماد العلماء الاماثل
فخار الفقهاء الاجلة الافاضل كوكب التقوى والسداد جناب الاجل الميرزا محمد علي دامت بركاته
نجل المرحوم المبرور الواصل الى دار الغبطة والسرور الميرزا جواد الاصفهاني الاصل طيب الله تعالى
مرقده فانه بفضله تعالى ممن فاز الى حيث يجوز له العمل بما وصل اليه نظره وادى اليه اجتهاده واستنباطه
مضافا الى ما تحلى به من حلية الصالحين وزينة المتقين مجده الله تعالى دوام الاشتغال بخدمة الكريم
المتعال وزاده شرعة في نتايج ذلك البقاء والزوال وادام في امور الدين توفيقه وسدده ونفع
اخوانه المؤمنين باثاره الحميدة والتماس وصيته على حسن ظنه فيه لشدة الاحتياط في دين الله والورع
عما لا يرضيه وان لا ينساني في مظان الاجابة ولا حول ولا قوة الا بالله وسلام على عباده الذين
اصطفى ما دامت الارض والسماء الاحقر محمد تقي الحائري

نــص اجازة الرواية التي منحها الشيخ الشاه آبادي لآية الله الحـاج مير سيد حسن الاحمدي (توفي في شباط ١٩٧٩م عشية انتصار الثورة).

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل صفائح قلوب ذوي الهمم قابلة
لنقوش العلوم والحكم ثم اخرجها من عميم اللطف
والكرم الى ان علّم الانسان ما لم يعلم والصلوة
والسلام على الكلمة الجامعة تشتمل على جوامع
الكلم صورة الاسم الاعظم الذي [illegible] على العالم
على الامم واتصل به دائرة الايجاد
هو الذي ما ساء قط ومولد الحسن الامام محمد
المطهر الذي عليه جبرئيل خدم وعلى آله الطاهرين
الهادين الى الطريق الاقوم ولعنة الله على
اعدائهم حتى يكون كل اعمى واصم وابكم
وبعد فان من فضل الله ومنته انه قد
تشعشع بضياء افكاري [illegible] اقتبس
من انوار ذوي النهى العالم العامل [illegible]

والفاضل الكامل الاورعي سمي مولانا وامامنا
الحسن المجتبى عليه صلوات الله وملائكة الملأ
الاعلى الآقا مير سيد حسن الاحمدي حفظه الله
تعالى عن كل حاسد اذا حسد حتى فاز درجة الاجتهاد
في الاحكام الشرعية عن الادلة التفصيلية جعله الله علماً
للشيعة وكهفاً للشريعة ولقد اجزت له ان يروي
عني جميع ما صحت لي روايته عن النبي صلى الله عليه
واله والائمة المعصومين سلام الله عليهم اجمعين
واوصيه الاحتياط في الاستنباط وان لا ينساني في
الدعاء حياً وميتاً كما لا انساه ان شاء الله وحرر في شهر
شعبان المعظم سنة ١٣٦٧ من الهجرة النبوية على هاجرها
الف الثناء والتحية الاحقر محمد علي الشاه آبادي عفي عنه

نص الاجازة الروائية التي منحها المرحوم الشاه آبادي للمرحوم شهاب الدين المرعشي النجفي مؤسسة المكتبة المعروفة باسمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اوحى الى عبده ما اوحى والصلوة والسلام على من دنى فتدلى
فكان قاب قوسين او ادنى وعلى اله واصحابه الذين هم حملة ما اوحى
الى العلى الاعلى وسادات الورى ومصابيح الدجى واعلام التقى
وائمة الهدى ولعنة الله على من عاداهم وسعى في اضلال شيعتهم الى
يوم العدى اما بعد فان اعظم المآجر وافضل المفاخر بعد الايمان
بالله واليوم الاخر هو ما يوصل به الى السعادة الابدية ويخلص
من الشقاوة السرمدية وما هو الا سوق الحضرة الاحمدية و
الاخذ بالسنة السنية المحمدية وحيث لا يمكن ذلك الا بنقل الحديث و
روايته وضبطه ودرايته وقد حث عليه الرسول وعترته فاني اروي
عن السيد الاستاد ومن عليه في جميع العلوم الاعتماد المولى العالم الامام ميرزا
محمد حسن عن شيخه الاجل الافخم واستاده الاكمل الاقدم الشيخ مرتضى الانصاري
قدس الله سره عن الشيخ المولى احمد النراقي عن السيد مهدي الطباطبائي
المعروف ببحر العلوم عن شيخه البهبهاني عن ابيه المولى محمد اكمل عن العلامة
المجلسي عن والده المولى محمد تقي عن الفاضل الملا المولى حسنعلي
عن ابيه المفسر عبدالله بن الحسين التستري وعن العلامة الشيخ بهائي
الافاق شيخنا البهائي محمد بن حسين بن عبدالصمد عن والده عن
شيخنا الشهيد الثاني عن الشيخ علي بن عبدالعالي الميسي عن الشيخ علي

سيد الكمال الكركي عن الشيخ محمد بن المؤذن ابن عم الشهيد عن الشيخ ضياء الدين
ابن الشهيد عن والده الشهيد السعيد محمد بن مكي عن فخر المحققين عن
ابيه العلامة عن المحقق نجم الدين جعفر بن سعيد عن الشيخ نجيب الدين محمد بن
نما عن الشيخ محمد بن ادريس عن الشيخ عربي بن مسافر عن الياس بن هشام
الحائري عن الشيخ ابي علي ابن الشيخ عن والده شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي عن
الشيخ [illegible] محمد بن محمد بن النعمان الحارثي [illegible] عن الشيخ
[illegible] محمد بن علي بن بابويه القمي [illegible]
[illegible] بن اسماعيل [illegible] موسى بن ابراهيم المروزي
عن الامام الكاظم موسى بن جعفر عليهما السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله من حفظ على امتي اربعين حديثا مما يحتاجون اليه في امر
دينهم بعثه الله عز وجل يوم القيامة فقيها عالما [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
١٣٣٥

نص الاجازة الروائية التي منحها المرحوم الشاه آبادي إلى نجله ميرزا محمد جواد الشاه آبادي

بسم الله الرحمن الرحيم

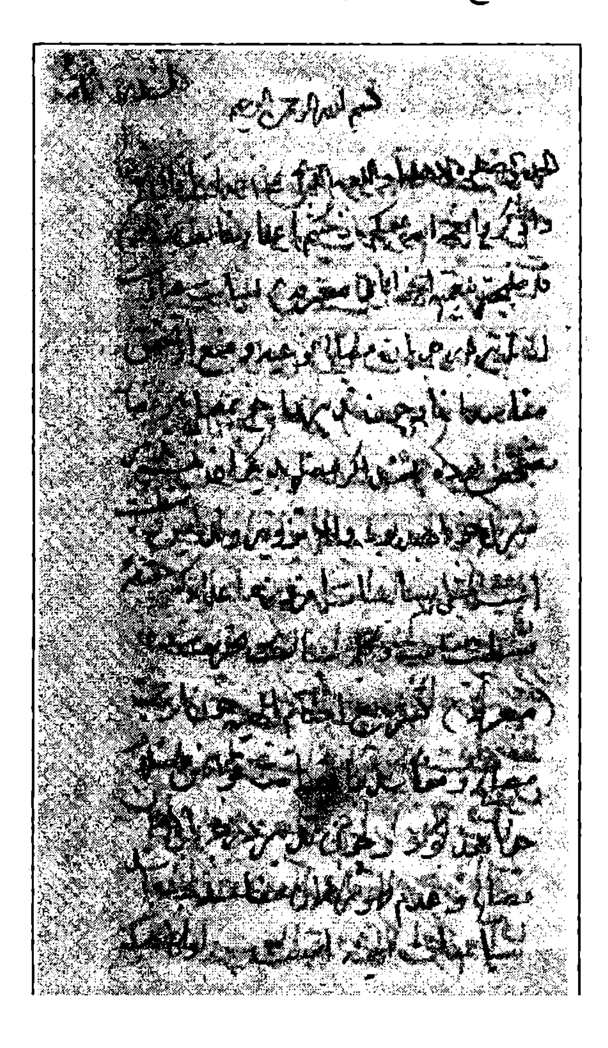
[illegible]

نص اجازة الاجتهاد منحها المرحوم آية الله العظمى محمد جواد الاصفهاني الى نجله المرحوم آية الله العظمى احمد البيد آبادي

الملحق الثالث

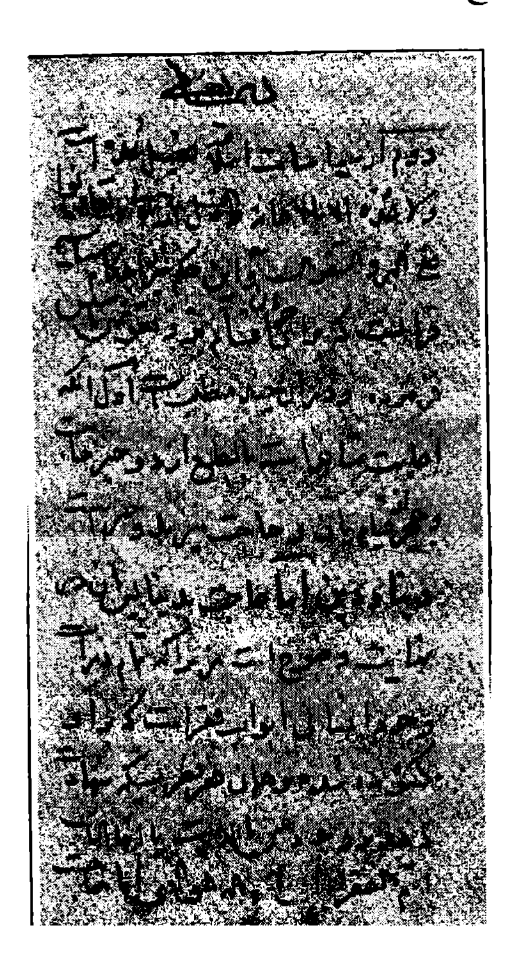
النسخ المخطوطة والآثار العلمية

نموذج مخطوط من كتاب شذرات المعارف



بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج مخطوط لبحث ((سياسة العُدّة)) للشاه آبادي



نموذج مخطوط لرسالة المعارف اضيفت هذه الرسالة الى كتابه شذرات المعارف لتشغل عنوان الشذرة السادسة

المعارف

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم اجمعين الى يوم الدين
قال الله تعالى في سورة الروم (آية ٢٩) فأقم وجهك للدين حنيفا
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين
القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون معرفة لوازم وجود ...

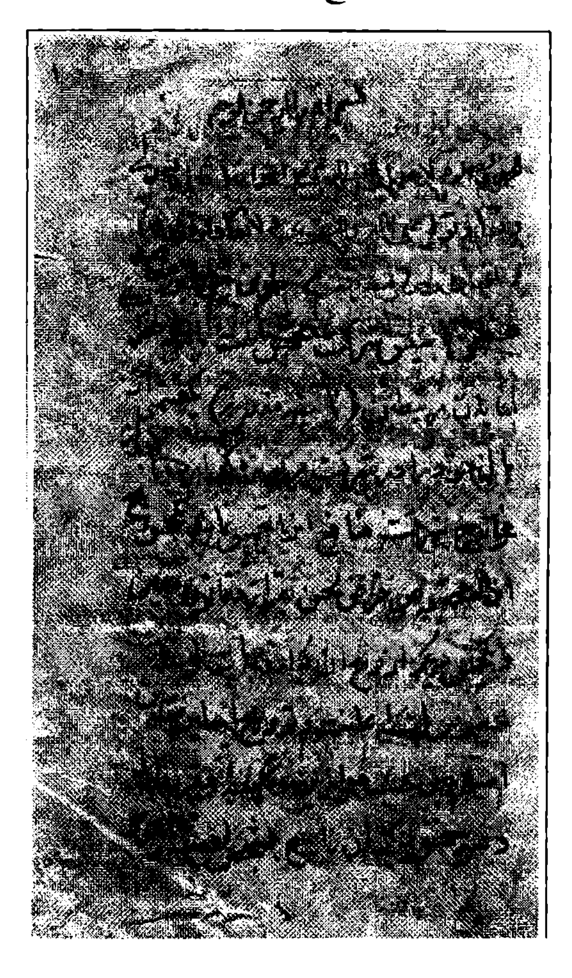
[illegible]

الصفحة الأولى من مخطوطة كتاب الخزائن في علم الاصول /

تأليف المرحوم محمد جواد الاصفهاني الحسين آبادي رحمه الله

نموذج مخطوطة لرسالة ((الشركة المخمسة)) من تأليفات المرحوم

الشيخ الشاه آبادي



حاشية المرحوم الشاه آبادي عن رسالة ((نجاة العباد)) وهي من تأليف ((صاحب الجواهر)) وتقع في ١٥ صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا خاتم النبيين
محمد وآله الطيبين المعصومين واللعن الدائم على اعدائهم اجمعين
چون رساله شريفه مفتاح السعادة مطابق فتاوى حضرت مستطاب حجة الاسلام
والمسلمين آية الله آقاى شاه آبادى دام الله ظله العالى على رؤس المؤمنين
مختصر بود وعده از ارباب علم وتقوى از حضرت ايشان درخواست مينمودند
كه رساله مفصلى كه حاوى متفرعات فقهيه باشد نوشته شود لذا
حضرت آية الله صلاح بآن ديدند كه رساله شريفه نجاة العباد
كه از حضرت مرحوم شيخ كبير صاحب جواهر اعلى الله مقامه
ميباشد وانصافا بهترين رساله ايست كه فعلا در دسترس
است حاشيه فرموده وتقاضاى ايشان را اجابت نمايند وبراى
اينكه سر بسته اين عمل انجام گرفته وهم كم خرج باشد حواشى مستقلا
چاپ شد ودر رساله نجاة العباد نسخ از آن زياد ومختلف است
وبواسطه ملاحظاتى در اين حاشيه نسخه كه بخط محمد صادق
گلپايگانى است منظور شده است كه با نسخه هاى ديگر چندان
فرقى ندارد والبته اگر مؤمنين عين حاشيه را با كتاب
خودشان تطبيق ونقل كنند بهتر وموجب اطمينان خواهد شد

الصفحة الأولى من ((مفتاح السعادة)) الرسالة العملية للمرحوم الشاه آبادي طبعت بالفارسية عام ١٣٥٨هـــ في طهران



هذا كتاب مفتاح السعادة في أحكام العبادة

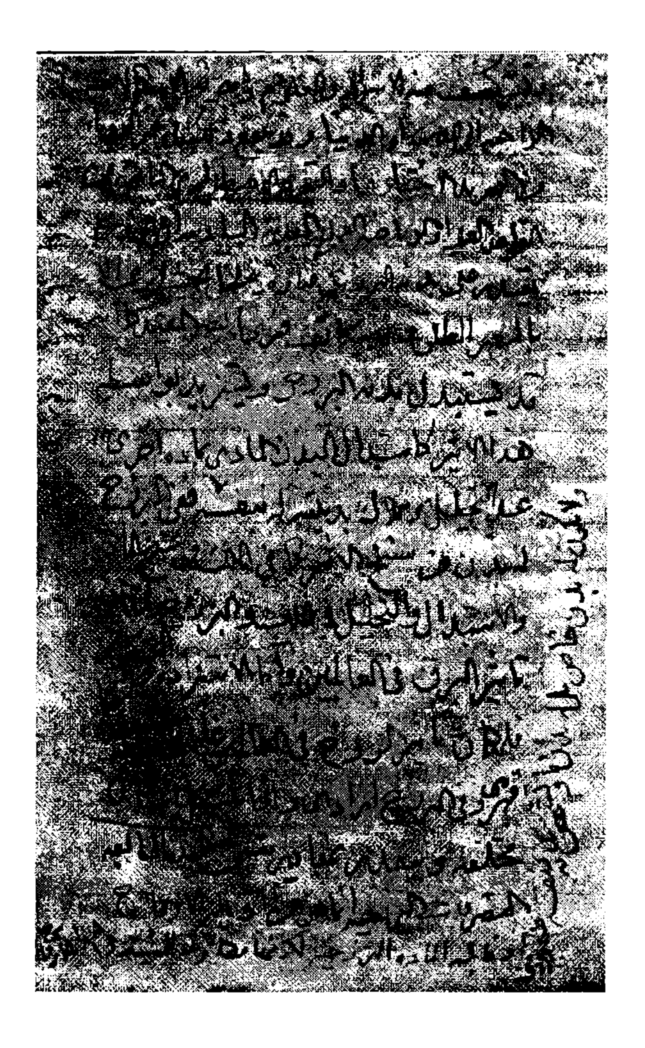
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

كتاب الاجتهاد والتقليد (۱) اجتهاد عبارتست از دانستن احکام شرعیه از دلیل و تقلید دانستن آنها از قول مجتهد (۲) اجتهاد در اصول دین واجب عینی است و در فروع دین واجب کفائی است (۳) کسیکه نمیتواند اقامه ادله مخصوصه بنماید مقلد است خواه عامی محض بوده باشد یا بهره از علم داشته باشد (۴) جائز است بر عامی رای کسیکه دارای هشت شرط باشد بلوغ و عقل و ذکوریت و ایمان و عدالت و طهارت مولد و حیوة

نموذج من مخطوطة رشحات البحار ويقع الكتاب في

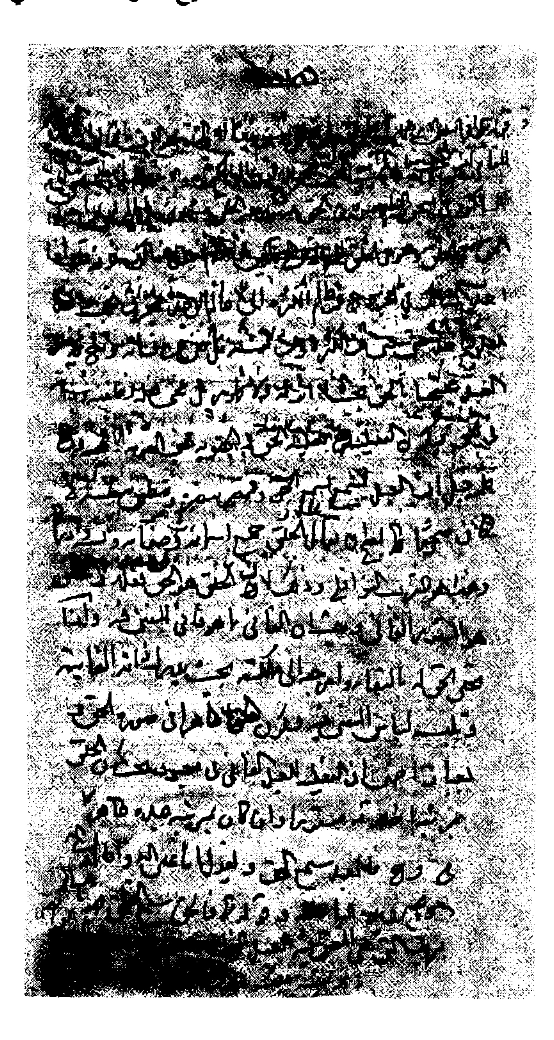
١٦١ صفحة



الصفحة الأولى من رسالة مخطوطة للمرحوم الشاه آبادي في الفقه

نموذج من نسخة مخطوطة في علم البلاغة من تأليفات المرحوم الشاه آبادي

ان كان لنسبته خارج تطابقه او لا تطابقه فخبر والا فانشاء
والخبر لا بد له من مسند اليه ومسند واسناد والمسند قد يكون له متعلقات
اذا كان فعلا او في معناه وكل من الاسناد والتعلق اما
بقصر او بغير قصر وكل جملة قرنت باخرى اما معطوفة عليها
او غير معطوفة والكلام البليغ اما زائد على اصل المراد لفائدة
او غير زائد تنبيه صدق الخبر مطابقته للواقع وكذبه
عدمها وقيل مطابقته لاعتقاد المخبر ولو خطأ وعدمها
بدليل قوله تعالى ان المنافقين لكاذبون ورد بان المعنى
لكاذبون في الشهادة او في تسميتها شهادة او المشهود
به في زعمهم الجاحظ مطابقته مع الاعتقاد وعدمها معه
وغيرهما ليس بصدق ولا كذب بدليل افترى على الله كذبا ام به
جنة والمراد بالثاني غير الكذب لانه قسيمه وغير الصدق
لانهم لم يعتقدوه ورد بان المعنى ام لم يفتر فعبر عنه
بالجنة لان المجنون لا افتراء له الباب الاول
في احوال الاسناد الخبري لا شك ان قصد المخبر بخبره
افادة المخاطب اما الحكم او كونه عالما به ويسمى الاول فائدة
الخبر والثاني لازمها وقد ينزل العالم بهما منزلة الجاهل



نموذج من مخطوطات الشيخ الشاه آبادي رحمه الله في العرفان

الملحق الرابع

وثائق أخرى

مشروع حول الناحية المقدسة
وقد ورد في كتابه شذرات المعارف



جدير ذكره ان الشيخ الشاه آبادي يورد في نهاية كل فصل من شذرات المعارف عبارة ((الناحية المقدسة)) وهذا الموضوع يحتاج الى دراسة لمعرفة مراده من ذلك

خبر رحيل المرحوم آية الله العظمى الميرزا محمد علي الشاه آبادي في الصحف (اسبوعية راية الاسلام)



نامه هفتگی

ناشر افکار کلیه اجتماعات دینی اسلامی

[illegible]

آیت الله شاه‌آبادی

روز پنجشنبه ساعت ۲ بعد از ظهر عالم ربانی حکیم و عارف وفقیه آیت الله آقا میرزا محمد علی شاه آبادی [illegible] بیماری [illegible] بدرود زندگانی گفتند [illegible] حضرت عبدالعظیم [illegible] مدفون شد.

اینک شرح مختصری از حالات آن مرحوم:

مرحوم آیت الله میرزا محمد علی شاه آبادی فرزند مرحوم میرزا محمد جواد مجتهد اصفهانی، جامع معقول و منقول و حاوی فروع و اصول بوده و در تهران در هر دو رشته تدریس فرموده و مورد استفاده افاضل هم بوده [illegible] از والد معظم خود که از اکابر شاگردان صاحب جواهر بوده به تحصیل علوم دینی پرداخته سپس در اصفهان در حوزه درس برادر بزرگ خود مرحوم آقا شیخ احمد مجتهد (معروف به شاه آبادی اصفهانی) کسب علوم دینی نموده و همچنین در حوزه درس مرحوم میرزا محمد هاشم چهار سوقی تکمیل مراتب علمیه پرداخته و در طهران [illegible] محضر مرحوم حاج میرزا حسن آشتیانی را فرموده سپس در نجف اشرف در حوزه درس استدلالی آخوند خراسانی و حاج میرزا حسین خلیلی و مرحوم میرزا محمد تقی شیرازی ادامه تحصیل دادند و علوم معقول را بنزد شیخ المتألهین میرزا هاشم رشتی خواندند.

پس از نائل شدن بدرجه اجتهاد بتهران ورود فرموده و در مسجد شاه آباد سمت امامت را قبول فرمودند بهمین مناسبت ملقب به شاه آبادی گردیدند و پس از آن مهاجرت به قم [illegible] طلاب علوم دینیه بوده [illegible] در زمان امامت مسجد شاه آباد [illegible] در موقع تصدی امامت مسجد جامع در حوزه درس این عالم ربانی عده زیادی از طلاب علوم دینیه مشغول استفاده و استفاضه علمیه بوده‌اند از خصایص آن مرحوم تربیت عده‌ای از محصلین در سیر و سلوک و عرفانست و میتوان گفت مربیّ [illegible] از شاگردان آن مرحوم [illegible] بارزی از مقام علمی مرحوم آیت الله شاه آبادی با تصانیف بزرگ خود میباشند

تألیفات فقید سعید

تألیفات متعددی از فقید سعید به یادگار باقیمانده که بعضی از آنها چاپ شده است.

۱- شذرات المعارف

۲- القرآن والعترة

۳- الایمان والرجعة

۴- الانسان والفطرة.

[illegible]

۱- مناظر السالکین (در سیر و سلوک) ۲- فقه آل محمد ۳- شرح بر کفایة (در اصول) ۴- نبوت خاصه

[illegible] مرحوم آیت الله شاه آبادی [illegible] آقازادگان مرحوم آیت الله شاه آبادی [illegible] امیدواریم بزودی بتوانند جانشین پدر بزرگوار خویش گردند.

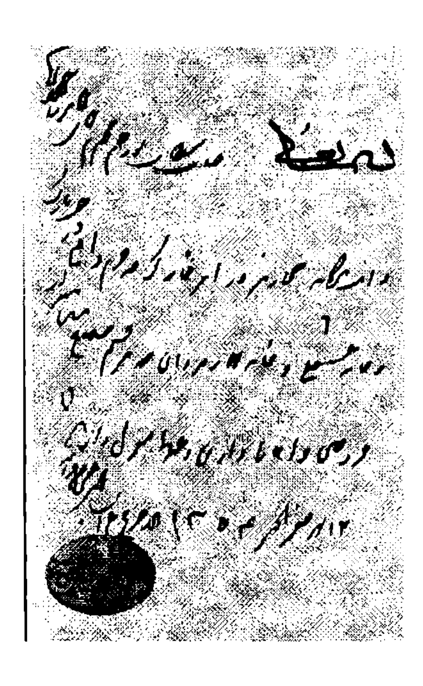
تجديد العهد الاسلامي

خمس وصايا اخلاقية واجتماعية

للمرحوم الشيخ محمد علي الشاه آبادي

الصفحة الأولى من بيان الشاه آبادي في ردّه على خبر ما اشير من اشكالات حول ما نشر في شذرات المعارف وطرحه موضوع الناحية المقدسة

مذكرة الشيخ الشاه آبادي لنجله حررها بتاريخ ١٢ صفر ١٣٥٤ هــ وتتضمن توكيله من بيع أو اجازة مترله في قم بعد قرار سفره الى طهران

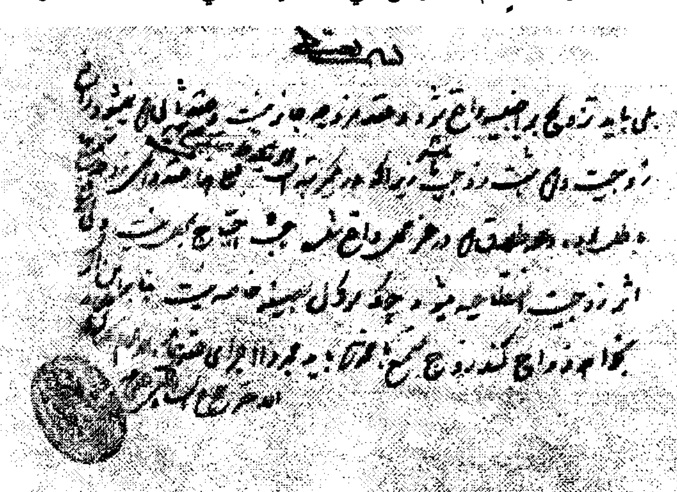


جوابه على استفتاء

حضرة آية الله سلمه الله

س: تمتعت امراة الى ثلاثة أعوام زواجاً موقتاً وبعد شهرين عن ذلك اقترنت بها بعقد زواج دائم من دون فسخ لعقد الزواج المؤقت وبعد مرور شهر واحد على العقد الدائم طلقتها ثلاثاً.

فهل ان العقد الاول باقٍ أم لا؟ وهل هي الآن في حبالتي بصيغة العقد المؤقت؟



ج ــ نعــم يجــب أن يقع التزويج على اجنبية، ولا عقد على المتزوجة، والعقد الثاني لا يرفعِ الزوجية ويثبتها في آن واحد حتى لو قصد الرفع، لانه في مرتــبة واحــدة. فعلى هذا يكون العقد الدائم على الزوجة المتمتَع بها بــاطل، والطــلاق واقع في غير محله. ولا يحتاج الى محلل لكنه رافع لأثر الزوجــية الانقطاعية، لان (رفع الزوجية الانقطاعية) ليس موكولاً بصيغة خاصّة، وعلى هذا فلو أراد الزوج المتمتِع الزواج بالمرأة نفسها وجب عليه اجراء العقد من جديد. **(الأحقر مح ع الشاه آبادي عفى عنه)**

نداء الامام الخميني بمناسبة شهادة المجاهد الشريف والمخلص نجل استاذه (الشيخ محمد علي الشاه آبادي) الشهيد آية الله الحاج الشيخ مهدي الشاه آبادي بتاريخ ١٩٨٤/٥/٢٨م.

بسم الله الرحمن الرحيم

انا لله وانا اليه راجعون

بشديد من الأسى والأسف نتقدم الى حضرة بقية الله ارواحنا لمقدمه الفداء باحرّ التعازي والتبريكات.

وبورك امام العصر لفداء الفدائين في طريق الاهداف الكبرى للاسلام العزيزة هولاء الذين يرون الشهادة فخراً لهم ولأمتهم.

لقد كان هذا الشهيد مجاهداً شريفاً وخادماً مخلصاً للاسلام ولهذا التحق بربه.

انه نجل شيخنا الكبير الذي أدين له بحق الحياة الروحية والذي لا يمكنني ان اعبر عن شكري اياه بلساني ولا يدي

أسـأل الله سبحانه أن يتغمد هذا الشهيد السعيد وسائر الشهداء في طريق الاسلام برحمته الواسعة في ظلّه يوم لا ظلّ الاّ ظلّه. واسأله تعالى ان يلهم ذويه الصبر والاجر العظيم.

روح الله الموسوي الخميني

تقريظ الشيخ العارف محمد علي الشاه آبادي للرسالة الضيائية[١]

وهي من تأليف المرحوم آية الله السيد موسى المازندراني[٢] رحمه الله

- ٤٨ -

تقريظ حضرت مستطاب حجة الاسلام والمسلمين
آية الله في العالمين آقاى آقا ميرزا محمد
على مجتهد شاه آبادى دامت افاضاته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي افاض من انوار علمه على
قلوب العلماء ورفع درجاتهم الى ان اوطاء لهم اجنحة
ملائكة السماء و فضلهم على جميع خلقه حتى صار
مدادهم افضل من دماء الشهداء

والصلوة والسلام على النور الامع في الاحدية
والفيض الساطع في الجبروت والكون الجامع في الناسوت
مصداق علمه و مظهر حكمته محمد خاتم الانبياء و
على آله و اوصيائه الذينهم خير الورى و سادات
الاصفياء

(اما بعد) فان من فضل الله تعالى على الانام

---

١ ــ الرسالة في موضوع الحجاب في ٥٠ صفحة.

٢ ــ من تلامذة العارف الشاه آبادي. جدير ذكره ان العارف الراحل كان يوقع باسم محمد علي النجفي ولكن بعد عودته الى ايران وسكنه في شارع شاه آباد عرف بالشاه

المحتويات

* * *

في هذا الكتاب

جولة شيّقة مع عَلَم من أعلام العرفان، ورمز من رموزه، ومشعل من مشاعله المضيئة، ألا وهو العالم العارف آية الله الميرزا محمّد علي الشاه آبادي، وهو أستاذ الإمام الخميني (قده) في العرفان.

وتأتي أهميّة معرفة هذه الشخصيّة من عدّة جوانب، فالشاه آبادي أستاذ الإمام الخميني، وكان له تأثير روحي كبير عليه، وقد ذكره الإمام الخميني في كتبه مرّات عديدة بكل احترام وتبجيل، وهذا معناه أن فهم شخصيّة الإمام الخميني وتجربته أمر مشروط بفهم شخصيّة أساتذته سيّما العرفاء منهم، ومن أبرزهم الشاه آبادي (قده).

كما أن الشاه آبادي عارف مغمور في العالم العربي؛ الأمر الذي يضاعف من أهميّة تقديمه للقارىء العربي، ليحصل على تنوّع في الرؤيا، وتكتمل عنده الصورة أكثر فأكثر.



حارة حريك - بناية البنك اللبناني السويسري
هاتف: ٠٣/٦٤٤٦٦٢ - ٠١/٥٥٨٢١٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٣٦٠٤ - ص.ب: ٢٤/٥٠
E-mail: feqh@islamicfeqh.org - magazine@alminhaj.org



H.Moussa 03/335797